حتى يطمئن قلبي

حتى يطمئن قلبي

جيهان عجلان

حتى يطمئن قلبي

اسم الكاتبة: جيهان عجلان
تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية
تصميم الغلاف: محمد سعد الشحات
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولـى – يناير ٢٠١٩ م
رقم الإيداع: 2201 / 2019

Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017

01030365801

جميع الحقوق محفوظة

التمهيد

"لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤)الحشر

"هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا " (٢٠) الفتح

"الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨)الرعد

أن اطمئنان القلوب رزق من الله لعباده المؤمنين ،فباطمئنان القلب تهتدي النفس للخير ، ولقد جعل الله اطمئنان القلب علامة لخير السبيل ، وكلما ضاقت عليك السبل في الاختيار بين أمرين ، فكن مع الذي اطمأن له قلبك ، وروي عن رسول الله صل الله عليه وسلم في استفتاء القلب

عَنْ وَابِصَةَ بْنِ مَعْبَدٍ قَالَ :

((أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ لا أَدَعَ شَيْئًا مِنَ الْبِرِّوَالإِثْمِ إلا سَأَلْتُهُ عَنْهُ وَإِذَا عِنْدَهُ جَمْعٌ فَذَهَبْتُ أَتَخَطَّى النَّاسَ فَقَالُوا إِلَيْكَ يَا وَابِصَةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْكَ يَا وَابِصَةُ فَقُلْتُ أَنَا وَابِصَةُ دَعُونِي أَدْنُو مِنْهُ فَإِنَّهُ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ أَنْ أَدْنُوَ مِنْهُ فَقَالَ لِي ادْنُ يَا وَابِصَةُ ادْنُ يَا وَابِصَةُ فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى مَسَّتْ رُكْبَتِي رُكْبَتَهُ فَقَالَ يَا وَابِصَةُ أُخْبِرُكَ مَا جِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنْهُ أَوْ تَسْأَلُنِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَخْبِرْنِي قَالَ جِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنِ الْبِرِّ وَالإِثْمِ قُلْتُ نَعَمْ فَجَمَعَ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهَا فِي صَدْرِي وَيَقُولُ يَا وَابِصَةُ اسْتَفْتِ نَفْسَكَ الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ وَاطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي الْقَلْبِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ قَالَ سُفْيَانُ وَأَفْتَوْكَ))

رواه أحمد والدارمي

وهناك العديد من الشواهد السنية عن رسول الله صل الله عليه وسلم؛ لتكون دليلا على صلاح هذه المضغة في الجسد ،ومدى أثرها في حياة الإنسان المؤمن ما دامت صالحة لا يشوبها أثما ، وقد قال عنها رسول الله صل الله عليه وسلم : عن النعمان بن بشير ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ». متفق عليه

ونتعلم من هذا الحديث أن:-

أولًا :- العمل مرتبط بصلاح القلب، وفساده مرتبط بفساده، يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: "القوم إذا صلحت قلوبهم فلم يبقَ فيها إرادة لغير الله عزوجل صلحت جوارحهم فلم تتحرك إلا لله عزوجل، وبما فيه رضاه". ويقول أيضًا: "ويلزم من صلاح حركات القلب صلاح حركات الجوارح ،وبعض من نقص علمه قد يظن أن هناك انفصالًا بين صلاح القلب وصلاح العمل الظاهر، وقد يستدل بقول النبي ﷺ: «التَّقْوَى هَاهُنَا» ويشير إلى صدره، ثلاث مرات وهذا فهم خاطئ للشريعة، وإنما يدعو إليه أحد أمرين: إما الجهل، وإما الهوى. والواجب علينا أن نعلم: أن الإيمان قول وعمل ونية، وأن صلاح الباطن يؤثِّر في صلاح الظاهر، وكلما ازداد صلاح الباطن كان ذلك زيادة في صلاح الظاهر. ومما يدل على هذا الترابط أيضًا حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ، وَأَعْمَالِكُمْ». رواه مسلم

ثانيًا:- يجب على المسلم أن يهتم بصلاح قلبه، فيتفقده دائمًا، ويتجنب ما قد يعرض له من المفسدات، سواء أكانت من الشبهات أم من الشهوات؛ وذلك لأنه إذا صلح القلب تبعته جميع أعضاء البدن، كما ينبغي على الدعاة والمعلمين أن يهتموا بإصلاح قلوب العباد، فإنها إذا صلحت استجاب الناس لشريعة الله، ورغبوا فيما عنده.

ثالثًا:- مما يعين على صلاح القلب: التضرع إلى الله تعالى، واللجوء إليه، وكثرة الدعاء؛ يقول الله تعالى -مخبرًا عن دعاء عباده الراسخين في العلم-: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ} [آل عمران:٨]. وكان من دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»؛ رواه مسلم،

وكان ﷺ يعلِّم أصحابه رضي الله عنهم أن يدعوا بهذا الدعاء: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ... قَلْبًا سَلِيمًا، وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا»؛ رواه أحمد

وبهذا الصلاح للقلب؛ ينجو المؤمن من عثراته وابتلاءاته ، وسوف نعرض في الفصول التالية شواهد من القصص القرآني ؛كدليل على صلاح قلوب أصحابها ؛لتكون لنا قدوة اتباع ، ومنهج لترويض القلوب على الخير

الفصل الأول
نبي الله نوح عليه السلام
يمكث في قومه ألف سنة إلا خمسين

سيدنا نوح عليه السلام يعتبر أول رسولٍ أرسله الله إلى البشر، لهداية الناس وإرشادهم إلى عبادته وطاعته، وإقامةِ الحُجّةِ عليهم، فقال تعالى في كتابه العزيز:" رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥) النساء

، وجعل الإيمان بهم ركناً من أركان العقيدة الإسلامية، ومن هؤلاء الرُسل كان سيدنا نوح عليه السلام، فأرسله الله لقوم أتخذوا الأصنام ألهة وعبدوها من دون الله ، فجاء عليه السلام في مرحلةٍ من تاريخ البشرية ليعيد الناس إلى الصواب، والطريق المستقيم الذي يرضي الله تعالى ،فكان نوح عليه السلام يتصف بالعزيمة ويعد من أول الرسل والأنبياء الذين جعلهم الله في مرتبة أولي العزم وفضلهم بذلك على كثيرٍ من أنبيائه، وقد ظهرت العزيمة في مسيرة حياته في مواقف كثيرة، ومنها عزيمته التي لا تلين في سبيل دعوة قومه إلى التوحيد، حيث مكث فيهم ألف سنةٍ إلّا خمسين عاماً،ما الذي دعى نبي الله نوح ان يصبر كل هذه السنين على قومه صابرا لا يضجر يدعوهم للأيمان بالله مؤمن برسالة ربه مطمئنا لإيمانهم بدعوته ،؟ نعم مطمئنا هو اطمئنان قلبه الذي كان سلاح صبره ولم يتسلل اليأس إلى قلبه، فقد كان عليه السلام ذا قلبٍ رحيمٍ مشفق على قومه مما سيصيبهم من

عذاب الله إن هم استمروا على غيهم وضلالهم، وقد ظهرت الشفقة في قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام:

(إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(١٣٥) الشعراء كما ظهرت الرحمة والشفقة عنده عليه السلام حينما نادى ابنه الذي استحب الكفر على الإيمان حتّى يركب معهم في السفينة، ولكن سبقت كلمة الله وأمره فكان ابن نوح من الغارقين بالطوفان، وكان عنده من الصبر العظيم ،فقد كان عليه السلام صابراً على قومه، حيث ظل يدعوهم ويجادلهم دون يأسٍ أو قنوط، يحدوه الأمل بالله تعالى أن يسلم قومه وينيبوا إلى ربهم في يومٍ من الأيام. كان يدعوهم في كل وقت ، وذلك من الحكمة والمهارة في الدعوة فقد استخدم عليه السلام كافة الوسائل في دعوة قومه، فقد دعاهم ليلاً حيث يكون مظنّة سكون النفس وهدوئها وحسن استماعها إلى القوم، ودعاهم كذلك نهاراً وفي النهار مظنّة إقامة الحجة بالدليل الساطع، كما أنّه دعاهم في السر والعلن، وذكّرهم بعاقبة المستغفرين المنيبين وكيف يرسل الله السماء عليهم مدراراً، ويزيدهم مالاً وبنيناً. حسن الرد وقوة الحجة والمنطق فقد كان عليه السلام يرد رداً حكيما على الكافرين الذين كانوا يمرون عليه وهو يصنع السفينة فيسخرون منه، فكان لسان حاله ومقاله يردد قوله تعالى:

(قالَ إِن تَسخَروا مِنّا فَإِنّا نَسخَرُ مِنكُم كَما تَسخَرونَ (٣٨) فَسَوفَ تَعلَمونَ مَن يَأتيهِ عَذابٌ يُخزيهِ وَيَحِلُّ عَلَيهِ عَذابٌ مُقيمٌ(٣٨) هود

كما استخدم الشدة ؛ سبيلا على الكافرين فعلى الرغم من أنّه صبر صبراً عظيماً في دعوته لقومه، إلّا أنّه حين أدرك أنّه لن يؤمن من قومه إلّا من آمن دعا على الكافرين منهم ، فقال تعالى على لسانه عليه السلام:" وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (٢٨) نوح

وعد الله سيدنا نوح أن لا يُعذب أطفالاً بذنوب آبائهم، فعقم جميع أرحام الأُمهات عدة سنين حتى لم يُصبح ولا أي طفل صغير في قوم نوح، أوحى الله تعالى إلى سيدنا نوح بصنع السفينة " فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا". كان جبريل يُعلّم سيدنا نوح كيف يصنع السفينة خطوة بخطوة وكان القوم دائماً يستهزؤون به؛ إي إنّه كيف يصنع سفينة في وسط الصحراء فكانوا يقولون "السفينة تصنع للبحر وأنت تصنعها في البر؟ فكان يرد عليهم قائلاً "إن تسخَروا منّا فإنّا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذابٌ يخزيه ويحلّ عليه عذابٌ مقيم". حين انتهى من صُنع السفينة أمره الله تعالى أن يحمل في السفينة جميع من آمن معه، وعددهم ثمانون شخصاً، ومن كل حيوان زوجين لحمايتهم من الانقراض، وفعل ذلك سيدنا نوح .

وذكر الله تعالى هذا الوصف في كتابه العزيز فقال "وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ

مُّقِيمٌ (٣٩) حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ ۚ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (٤٠) وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣)هود

بعد أن غابت الشمس أصبحت السماء تُمطر مطراً قوياً وشديداً، وأصبح الماء ينهمر من عيون الأرض، وأصبحت الأرض بحراً كبيراً. استمرّ هذا المطر لمدّة أربعين يوماً، ثُمّ رأى سيدنا نوح ولده الكافر، وقال له "يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين" ولكن الابن لم يقبل وكان يظن أنه سوف ينجو، فغرق جميع الكافرين ونجا الذين آمنو بسيدنا نوح، وأمر الله تعالى أن تكُفّ السماء عن المطر فتوقّفت السفينة عند جبل اسمه الجودي؛ وقد استجاب الله دعاء نوح عليه السلام وقضى بهلاك قوم نوح بالغرق، عقيدة نوح الإيمانية الراسخة هى التى رزقته فضل الله عليه من الصبر على قومه لعلهم يؤمنون وحسم الله فيهم أمره، ونجى منهم نوح والمؤمنون

ولما أهلك الله الكفار بالغرق أمر الله الأرض أن تبلع الماء وأمر السماء أن تكف عن المطر فاستوت السفينة راسية على جبل الجودي بالموصل و قضي الأمر وأهلك الظالمون وقال الحق تعالى :

" وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤) وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥)هود وهكذا نصر الله نوحاً والمؤمنين معه وأهلك من كفر به وجعلهم عبرة للناس وهذا وعد الله الحق " وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٧٧) الأنبياء

ثم جعل الله في ذرية نوح وإبراهيم عليهما السلام النبوة و الكتاب كما قال سبحانه " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦)الحديد

الفصل الثاني
إبـراهيم يبحث عن ربـه

خرج إبراهيم عليه السلام يتدبر في خلق الله – وهو بعد لم يعرفه ، وبرغم أنه لم يتوصل إلى ربه فهو لم يعبد صنم قط كما فعل قومه ، بل كان دائما يراوده ذاك الشعور المطمئن بقلبه بوجود إله عظيم أحق بالعبادة من تلك الآلهة والأصنام ؛ وكان ذلك الشعور الذى ملء قلب إبراهيم ؛ لما راى ، وعرف من إبداعه وقدرته ؛ فبدأ في رحلته للبحث عن الله وقد ذكر القرآن الكريم رحلة إبراهيم فى البحث عن الله

"وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ(٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ(٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ(٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(٧٩) وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاء رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) " الأنعام :.

إذاً استشعر إبراهيم عليه السلام أن هناك قوة خلقت كل شيء ، وأبدعت السماوات والأرض، واستشعر في نفسه أن هذه الآلهة التي عكف

عليها قومه لا تغني ولا تسمن من جوع ، وأنها بعيدة كل البعد عن أن تخلق شيئا، بل أثبت لهم فيما بعد أنها حتى لا تستطيع أن تدافع عن نفسها .

وحمل إبراهيم عليه السلام على عاتقه مهمة البحث عن ربه، فبدأ أولا بالنظر إلى السماء فرأى نجما كبيرا فقال هذا ربي، ولكن مهما بقي النجم فلابد من زوال، إذ انقشع الظلام وذهب النجم مع ذهاب سواد الليل، فتعجب إبراهيم ، كيف يتخذ إلها يغيب بغياب الليل ، فالإله موجود دائما لا يغيب وهذا النجم يغيب فكيف له أن يكون الله .... وواصل إبراهيم رحلته؛ باحثا عن ربه حتى رأى القمر في السماء فظن أنه هو الإله الذي يبحث عنه فكان حجم القمر أكبر من ذاك النجم فقال : هذا ربي ،ولكنه ذهب هو أيضا لم يبقى طويلا فقال وقد أصابته الحيرة مما يحدث يا الله أن لم تهدني إليك سأكون من الضالين ،فلما رأى إبراهيم الشمس وجدها أكبر من النجم والقمر وقال هذا لابد أن يكون ربي فأفلت الشمس هي الأخرى وغابت عن عين إبراهيم ، فصرخ وقال يا قوم إني برئ مما تشركون .. أدرك إبراهيم بما رأه أن قومه يشركون مع هذا الإله العظيم إله أخر، ولكنه لم ييأس من بحثه عن الله ؛ لأن قلبه المطمئن يحدثه بوجود الله الحق فقال: ؛ وجهت وجهي للذي خلق السماوات والأرض وما أنا من المشركين، فمن الله عليه بالإيمان، وأرسل إليه وحيه ليبلغه بأن الله قد اختاره ليكون نذيرا لقومه.

عرف إبراهيم ربه بربه الذي ملأ قلبه بالاطمئنان للوصل إلى الحق ، وكان هذا الاطمئنان حافز إبراهيم ليصل للحق

الفصل الثالث
إبـراهيم وأربـعة من الطير

النفس البشرية دائما تبحث عن اليقين الثابت القائم الملموس، ألا وهو عين اليقين ؛ وذلك لطبيعة جبلتها المادية ، ولكن لماذا طلب إبراهيم من ربه أن يريه كيف يحيا الموتى ؟ هل هو شك فى اطمئنان قلبه ؟ هل هو شك في الإيمان ؟ حاشا لله ، فمن اصطفاه الله لرسالته لن يشك فى قدرة ربه أبدا .

فقد صور القران الكريم هذا الموقف كالتالي :-

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٦٠) البقرة

وبهذا العرض القرآني نجد أن إبراهيم عليه السلام لم يشك في قدرة الله على إحياء الموتى، فعندما قال له الله: أولم تؤمن يا إبراهيم ؟ فأجاب بلى ،وهى إجابة على الاستفهام المنفي ، والقصد منه بل أؤمن يا الله حق الإيمان ، ولكن فقط ليطمئن قلبه ، فكان السؤال عن هيئة الإحياء لا عن ذات الأحياء، وكأن سيدنا إبراهيم أراد أن يترقى في هذا المقام من علم اليقين إلى عين اليقين، بدليل قوله: (ولكن ليطمئن قلبي) أي ليزداد سكوناً بالمشاهدة المنضمة إلى اعتقاد القلب، لأن تظاهر الأدلة أسكن للقلوب.

قال ابن القيم رحمه الله في (مدارج السالكين): "إن إبراهيم طلب الانتقال من الإيمان بالعلم بإحياء الله الموتى إلى رؤية تحقيقه عيانًا فطلب بعد حصول العلم الذهني؛ تحقيق الوجود الخارجي فإن ذلك أبلغ في طمأنينة القلب". فإبراهيم عليه السلام لم يشك يومًا في وجود ربه تعالى أو قدرته على إحياء الموتى وحاشاه أن يكون كذلك فهو الحليم الأواه المنيب؛ قال رسول الله ﷺ: «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال: {رب أزني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي}» (رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ). والمعنى كما قال القرطبي رحمه الله في تفسيره: "لو كان شاكًا لكنا نحن أحق به، ونحن لا نشك، فإبراهيم عليه السلام أحرى ألا يشك، فالحديث مبني على نفي الشك عن إبراهيم عليه السلام".. ولو كان في هذا خطأ لعاتبه الله تعالى كما عاتب آدم عليه السلام حين أكل من الشجرة، ولكن الله سبحانه أراد أن يُطمئن قلب خليله فأمره أن يحضر أربعة أنواع من الطيور ،وأمره سبحانه أن يقطع هذه الطيور إربًا إربًا ثم يخلطها مع بعضها، ويقسمها، ويجعل على كل جبل جزء منها. ثم بعد ذلك ينادي على كل طير باسمه يأتيه من فوره.. وتركب الخلق أمام إبراهيم عليه السلام لكل طير على حده كما خلقه الله على هيئته المعروفة لإبراهيم ولجميع خلقه ؛ ليرى بأم عينه هذه المعجزة الإلهية.. ويترقى من علم اليقين إلى عين اليقين.

وللعلم فهناك ثلاث مراتب هي: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين. فعلم اليقين يكون بالسمع، وعين اليقين يكون بالبصر، وحق اليقين يكون بالحواس ،أو بالقلب.

قال ابن القيم رحمه الله: في كتابه (التبيان في أقسام القرآن): "المرتبة الثانية: عين اليقين... هي التي سألها إبراهيم الخليل ربه أن يريه كيف يحيي الموت ليحصل له مع علم اليقين عين اليقين. فكان سؤاله زيادة لنفسه وطمأنينة لقلبه، فيسكن القلب عند المعاينة، ويطمئن لقطع المسافة التي بين الخبر والعيان. وعلى هذه المسافة أطلق النبي ﷺ لفظ الشك حيث قال: «نحن أحق بالشك من إبراهيم» ومعاذ الله أن يكون هناك شك ولا من إبراهيم وإنما هو عين بعد علم، وشهود بعد خبر، ومعاينة بعد سماع". ويستمر رحمه الله في تفسير هذه المرتبة ثم يقول: "وقد ضرب بعض العلماء للمراتب الثلاثة مثلا فقال: إذ قال لك من تجزم بصدقه: عندي عسل أريد أن أطعمك منه فصدقته كان ذلك علم يقين، فإذا أحضره بين يديك صار ذلك عين اليقين، فإذا ذقته صار ذلك حق اليقين".. وبهذه المعجزة الإلهية ترقى إبراهيم عليه السلام من علم اليقين إلى عين اليقين كما ذكرنا واطمأن قلبه ورضي بالله ربه وكان أمة قانتًا لله حنيفًا، أبو الأنبياء وإمام المسلمين.

وبهذا كان اطمئنان القلب مرة أخرى دعامة المؤمن في مسيرة تكاليفه بهذا الكون

الفصل الرابع
هاجر وإسماعيل في وادٍ غير ذي زرعٍ

عندما ذهب إبراهيم عليه السلام إلى بلاد الشام ،وأرض بيت المقدس، واستقر فيها ورأت السيدة سارة رجاء إبراهيم عليه السلام أن يكون له ولد،كانت السيدة هاجر والدة إسماعيل . عليهما السلام . أمة لسارة زوج سيدا إبراهيم من قبل جبار مصر الذي وهبها لها، وقد وهبتها سارة لزوجها إبراهيم :لعلها تنجب له الولد الذي يتمناه. وما هي إلى أشهر قليلة حتى رزقه الله سبحانه وتعالى الولد من هاجر.. فكان إسماعيل عليه السلام قرة عين لإبراهيم عليه السلام ،وفرح به أشد الفرح.. ولكن الغيرة دبت في قلب السيدة سارة شأنها شأن أي امرأة أخرى.. :فغارت من هاجر، ومن حب إبراهيم لولده إسماعيل.. فأراد الله سبحانه أن ينزع تلك الغيرة من قلبها :فأوحى إلى نبيه إبراهيم عليه السلام أن يأخذ هاجر، ورضيعها إسماعيل وأن يتركهما في مكة.. :وذلك لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى.. فأخذ إبراهيم عليه السلام هاجر، وولدها إسماعيل ،ثم تركهما في مكة حيث لا إنس ،ولا وحش ،ولا طير، ولا زرع، ولا ماء بل صحراء جرداء ،وجبال شاهقة ،والشمس بوهجها تكاد تخطف الأبصار.. ثم تركهما وهمَّ بالذهاب.. فلما رأته السيدة هاجر يذهب استوقفته، وقالت له : كيف ستتركنا في هذه الأرض الموحشة ؟ فلم يرد عليها إبراهيم عليه السلام.. وهنا فطنت السيدة هاجر بقلبها إلى أن هذا الفعل إنما هو أمر من الله سبحانه وتعالى لنبيه.. فرضيت بقضاء الله

تعالى وأيقنت أنه لن يضيعها هي ولا رضيعها. فاطمئنان قلب هاجر إنها وولدها في معية الله فهذا الاطمئنان الذي يملأ قلبها جعلها تتقبل ما فعله إبراهيم . فتركته يذهب وبقيت هي في هذه الأرض المقفرة؛ وهنا دعا إبراهيم عليه السلام ربه بكلمات رقيقة؛ كما ذكر بالقران الكريم

قال تعالى: {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} [إبراهيم:٣٧].

وبعد ساعات قليلة من رحيل إبراهيم عليه السلام نفد الماء والطعام الذي كان معها.. فقامت تبحث عن مخلوق في هذه الأرض،أو زرعة، أو عين للماء.. فأخذت تجري هنا وهناك ويمينًا ويسارًا في محاولة لإيجاد أي شيء.. صعدت على جبل الصفا وأخذت تنظر من عليه علَّها تجد شيئًا.. ولم تجد، هبطت من عليه وصعدت على جبل المروة ،وأخذت تنظر حولها فلم تجد شيئًا.. وأخذت تكرر ذلك الأمر سبع مرات دون جدوى.. سبع مرات تجري كل هذه المسافة تحت أشعة الشمس الملتهبة ،وفوق تلك الرمال المحرقة!!ما اليقين الذي جعل هاجر تفعل هذا ؟ تجري سبع مرات من هنا إلى هنا، وهى تعلم أنها في واد لا حياة فيه أنه يقين القلب المطمئن برحمة الله بعبده فقد أوجزت بقولها إنَّ الله لن يضيعها هى ورضيعها، وعند ذلك.تحقق اليقين يقين العين، ، فيبعث الله جبريل -عليه السلام- فيضرب الأرض بجناحه؛ لِتَخْرُجَ عينُ ماءٍ بجانب إسماعيل ، فتهرول الأم نحوها وقلبها ينطلق بحمد الله على نعمته، وجعلت تغرف من مائها، وتحاول جاهدة إنقاذ فلذة كبدها،

وتقول لعين الماء: زُمّي زُمّي، فسميت هذه العين زمزم. ليرتوي هو وأمه وليصدّق دعوة إبراهيم عليه السلام {وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ}.

قال رسول الله ﷺ: «يرحم الله أم إسماعيل، لو تركت زمزم لكانت عينًا معينًا» (رواه البخاري). وبشَّرها جبريل عليه السلام بأن بيت الله الحرام سيُبنى في هذا المكان عن طريق ولدها إسماعيل وأبوه إبراهيم ، وأن الله لن يضيعهم أبدًا لأنهم أهل بيته الحرام.

هذه هي هاجر أم الذبيح وأم العرب العدنانيين، رحلت عنا بعدما تركت لنا مثالا رائعًا للزوجة المطيعة، والأم الحانية، والمؤمنة القوية ؛ فقد أخلصت النية للَّه تعالى، فرعاها في وحشتها، وأمَّنها في غيبة زوجها، ورزقها وطفلها من حيث لا تحتسب.

وقد جعل الله - سبحانه - ما فعلته السيدة هاجر - ﷺ- من الصعود والسعي بين الصفا والمروة من أعمال الحج، و توفيت ، ودفنها إسماعيل - عليه السلام- بجانب بيت الله الحرام.

الفصل الخامس
إسماعيل وأمر ذبحه من الله

بعد أن رزق الله سبحانه وتعالى نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام بولدٍ من هاجر هو إسماعيل عليه السلام، أحبه إبراهيم عليه السلام حبًا شديدًا وتعلق قلبه به.. فأراد الله سبحانه وتعالى أن يختبر نبيه إبراهيم عليه السلام فأمره أن يذبح ولده الوحيد إسماعيل الذي اشتاق له عمرًا طويلًا بعد أن كبر.. وقد جاء هذا الأمر في رؤيا رآها إبراهيم عليه السلام في المنام كما جاء في ذكر القرآن الكريم فى قوله تعالى {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ} [الصافات:١٠٢].. ومعلوم أن رؤيا الأنبياء وحي وحق ، فذهب إبراهيم عليه السلام لولده وأخبره بما أمره الله به، فما من إسماعيل إلا أن قال افعل ما تؤمر يا أبي نعم يستجيب لوالده ولأمر الله تعالى بكل حب واطمئنان لامر الله ورحمته الخفية فى هذا الطلب ،صابرًا محتسبًا، مُرضيًا لربه، وبارًا بوالده؛ قائلًا بنص القران الكريم :

{يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِ نْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} [الصافات:١٠٢]. يا الهي أي اطمئنان للقلب هذا الذي يجعل الإنسان يمتثل لأمر الذبح دون تردد؛ انه اطمئنان المؤمن بان ربه لن يظلمه ولن يخذله ابد فقال افعل ما تؤمر، انه إسماعيل ابن إبراهيم الذي اوقدوا له النار ولم يخشها لأنه كان على يقين إنها ستكون عليه بردًا وسلامًا بأمر ربها إنها تمام العبودية وكمال الامتثال لأمر الله تعالى سواء من الأب الذي أُمِرَ أن يذبح ولده

الوحيد أو ومن الابن الذي لم يتذمر ولم يرفض بل هانت عليه نفسه إرضاءً لله تعالى.

ولما استسلم إبراهيم وولده لأمر الله تعالى وفوضا أمرهما إليه.. ذهبا سويًا إلى مكانٍ بعيدٍ وأضجع إبراهيمُ ولدَه على وجهه لئلا ينظر إليه فيشفق عليه.. وضعا إبراهيم عليه السلام السكين على رقبة ولده لينفذ أمر الله ،فهنا تنبض القلوب فرحة بيقينها واطمئنانها برحمة الله بعباده المؤمنين ، وجاءت البشرى فنودي إبراهيم عليه السلام من قبل السماء

{أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ . قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ} [الصافات:١٠٤- ١٠٦]. يقول ابن القيم رحمه الله في كتابه (الداء والدواء): "ليس المراد من الابتلاء أن نُعذب، ولكنا نبتلي لنُهذب، وليس العجب من أمر الخليل يذبح ولده، وإنما العجب من مباشرة الذبح بيده، ولولا استغراق حب الأمر لما هان مثل هذا المأمور". وإذا بكبشٍ عظيم أبيض اقرن قد بعثه الله تعالى فداءً لإسماعيل عليه السلام {وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ} [الصافات:١٠٧]. وأصبح هذا اليوم يومُ عيدٍ للمسلمين وأصبح ذبح الأضحية نُسكًا يُتقَرب به إلى الله تعالى إكرامًا لذكرى إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام. وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال وهو ما الحكمة من الأمر بذبح إسماعيل عليه السلام؟ ثم ما السبب في رفع هذا الأمر وفداء إسماعيل؟ يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في كتاب (زاد المعاد) يقول: "لما سأل إبراهيم عليه السلام ربه الولد ووهبه له، تعلقت شعبة من قلبه بمحبته. والله تعالى قد اتخذه خليلاً؛ والخلة منصب يقتضي توحيد المحبوب بالمحبة وأن لا

يشارك بينه وبين غيره فيها. فلما أخذ الولد شعبة من قلب الوالد، جاءت غيرة الخلة تنتزعها من قلب الخليل فأمره بذبح المحبوب. فلما أقدم على ذبحه وكانت محبة الله أعظم عنده من محبة الولد، خلُصَت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة فلم يبقَ في الذبح مصلحة إذ كانت المصلحة إنما هي في العزم وتوطين النفس عليه فقد حصل المقصود فنُسِخ الأمر، وفُدِي الذبيح، وصدق الخليل الرؤيا، وحصل مراد الرب.

الفصل السادس
شعيب نبي الله وقومه

آمن شعيب بنبي الله إبراهيم، وهاجر معه، ودخل معه دمشق، وكان فصيحاً مفوهاً حيث كان بعض السلف يسمي شعيبًا بخطيب الأنبياء لفصاحته، وحلاوة عبارته ،وبلاغته في دعوة قومه إلى الإيمان. أُرسِل شعيب إلى أهل مَدْيَن برسالته كما جاء بالقرآن الكريم آمن شعيب بنبي الله إبراهيم، وهاجر معه ودخل معه دمشق، وكان فصيحاً مفوهاً حيث كان بعض السلف يسمي شعيبًا بخطيب الأنبياء لفصاحته وحلاوة عبارته وبلاغته في دعوة قومه إلى الإيمان. أُرسِل شعيب إلى أهل مَدْيَن برسالته كما جاء بالقرآن الكريم ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٨٥)الأعراف

(كان أهل مدين قوم كفار ضالين يعبدون الأيكة، والأشجار والنباتات إضافة إلى أنهم سيئ الخلق والأخلاق حيث كانوا ينقصون المكيال والميزان، ولا يعطون الناس حقهم فدعاهم شعيب إلى عبادة الله وأن يتعاملوا بالعدل.

لم تكن قضية نبي الله شعيب قضية توحيد، وألوهية فقط، بل إنه كذلك كان تعديل وتقويم لأسلوب حياة الناس، فبدأ شعيب في توضيح أمور سوء تعاملهم وكما وصف ذلك في القرآن الكريم﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾(٨٤) هود، ولكنهم أبوا واستكبروا واستمروا في عنادهم ولم يعطوا الناس حقهم، فقد كان أهل مدين يعتبرون بخس الناس أشياءهم نوعا من أنواع المهارة في البيع والشراء وشطارة في الأخذ والعطاء.

فقال لهم نبيهم كما ورد في القرآن الكريم "وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥) بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (٨٦) هود وتوعدوهم بالرجم والطرد من رحمة الله ،ومذكر إياهم بما قد يكون قد بقي عندهم من أخلاق أو قيم، وما عند الله خير لكم ،وانه يريد الخير لهم ،وأنه ليس موكلا عليهم ولا حفيظا عليهم ولا حارسا لهم، إنما هو رسول يبلغهم رسالات ربه وأن كل ما يريده هو خير لهم ، وما هو عليهم بحفيظ ، ثم أخذ قومه يحاجونه بأسلوب جدلي وساخر كما وصف القران الكريم

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾(٨٧) هود، وباتوا يجادلونه ويتساءلون :

كيف يتركوا عبادة آبائهم للأشجار والنباتات، وصلاة شعيب تأمرهم أن يعبدوا الله وحده، أي جرأة من شعيب هذه؟. لم ييأس نبي الله شعيب من قومه فحاول إيقاظ مشاعرهم بتذكيرهم بمصير من قبلهم من الأمم، وكيف دمرهم الله بأمر منه. فذكرهم بقوم نوح، وبقوم هود، وبقوم صالح، وبقوم لوط، وأراهم أن سبيل النجاة هو العودة لله تائبين مستغفرين، فالله غفور رحيم. لكن كلام نبي الله شعيب زاد قومه أعراضاً وبعداً عنه قائلين كما جاء القرآن واصفا حالهم ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾(٩١) هود

لقد كان ضعيف بمقياسهم، ضعيف لأن الفقراء والمساكين هم فقط من اتبعوه، أما علّيَة القوم فاستكبروا وأصروا على طغيانهم، هذا من منطقهم الخاطئ ، ونسوا وأنكروا أن القوة بيد الله، والله مع أنبياءه، واستمروا بكفرهم وتهديدهم قائلين كما جاء في المصحف الشريف... ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾(٩١)هود فقالوا له: لولا أهلك وقومك ومن يتبعك لحفرنا لك حفرة وقتلناك ضرباً بالحجارة، فعندما أقام شعيب الحجة عليهم، غيروا أسلوبهم، فتحولوا من السخرية إلى التهديد.

لكن شعيب تلطف معهم متجاوزاً لإساءتهم إليه وسألهم سؤالا كان هدفه إيقاظ عقولهم... ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللّه﴾(٩٢) هود

لكن قوم شعيب وصلوا لحد ضاقوا به ذرعاً بشعيب. فاجتمع رؤساء قومه، وقرروا الدخول بمرحلة جديدة من التهديد، فهددوه أولا بالقتل، ثم تحولوا بتهديدهم بطرده من قريتهم، فخيروه بين التشريد، أو العودة إلى ديانتهم وملتهم التي تعبد الأشجار والنباتات، ولكن نبي الله شعيب أفهمهم أن مسألة عودته في ملتهم مسألة لا يمكن حتى التفكير بها فكيف بهم يسألونه تنفيذها، لقد نجاه الله من ملتهم، أنه هو الذي يدعوهم إلى ملة التوحيد، فكيف يدعونه إلى الشرك والكفر؟.

دخل الصراع والمكابرة بقوم شعيب بأن بدأوا يطالبوه بأن ينزل عليهم العقاب فأنتقل الصراع إلى تحد من لون جديد. فراحوا يطالبونه بأن يسقط عليهم كسفا من السماء إن كان من الصادقين، وراحوا يسألونه عن عذاب الله. فأوحى الله إليه أن يخرج المؤمنين ويخرج معهم من القرية. وخرج شعيب والمؤمنين، وجاء أمر الله كما صوره القرآن الكريم " وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٤) هود

جاءتهم غمامة كبيرة أظلتهم ففرحوا بها وتصوروا أنها تحمل لهم المطر ثم فوجئوا بالغضب، وأنهم أمام عذاب عظيم في يوم عظيم. أدركتهم صيحة جبارة من السماء جعلت كل واحد منهم يجثم على وجهه في مكانه الذي كان فيه، لقد صعقت الصيحة كل مخلوق حي، فلم يستطع أي منهم أن يتحرك أو يجري أو يختبئ أو ينقذ نفسه، كل ما استطاعه هو أن يجثم في مكانه مصروعا بالصيحة، وما كان صبر شعيب على قومه إلا حبا لهم ،

وخشية عليهم ، وقلبه المطمئن بالإيمان كان دائما يحفزه ويعينه على الصبر على قومه ، ولكنهم أبوا أن يتبعوا الحق ، وظلوا على كفرهم قائمين ؛ ظنا منهم أنه الحق ،ولكن الله لا يخذل عباده المخلصين ورسله وأنبيائه فصدّق الله فيهم تحذير شعيب لهم، وأهلكهم ليكونوا عبرة للكافرين

الفصل السابـع
يوسف وغياهب الجب وظلمات السجن

عندما أجتمع أخوة يوسف على أن يلقوا به في غياهب الجب وانقطعت في قلوبهم شرايين الرحمة؛فماتت تلك القلوب ، ولم تعد تنبض بالحياة. يستغيث بهم أخيهم ؛ طالبا النجاة ، ولكنهم راحوا دون أن يلتفتوا إليه ،فوجد يوسف نفسه ملقى في البئر وحيداً، حيث الظلام والوحشة والخوف،وظل ينادي بأعلى صوت إخوتي لا تتركوني وحيدًا ،وترددت أصداء صوته في الجب،و لكن أحداً لم يجبه، فقد ولى الأخوة الحاقدون بعيداً وتركوه. بلا أنيس، ولا طوق نجاة

وفجأة وكأن البئر أشرقت بالنور السماوي سمع يوسف صوتاً يناديه ويحدثه، يا يوسف كف عن هذا، وتلفّت يوسف فإذا الجب مشرق ومضيء وإذا بالطمأنينة تملأ نفسه،أنه جبريل عليه السلام مرسلا له من ربه ليطمئن قلبه فى وحشته ويقول :يا يوسف استعن بالله اشتغل بالدعاء إليه الله والتضرع إليه. وأدرك يوسف وقتها أن جبريل خاطبه ليعلمه درساً في مواجهة المصائب والشدائد التي لم يذق يوسف منها من قبل شيئاً. لقد أفهمه جبريل أنه يجب أن يلجأ عند المصيبة إلى الله أولاً، ولا يسأل سواه، فالله وحده هو القادر على كشف الضر عنه.

" أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ".(٦٢)النمل

وما أشد الضر الذي كان فيه يوسف، وظل يدعو الله أن ينجيه من غياهب الجب

ومكث يوسف ينتظر رحمة ربه، وقد اطمأن بعد الدعاء قلبه، وعند الصباح أنفرج الضيق وتسلل النور لغياهب الظلام، وجاء فرج الله وسُمِع نداء قلب يوسف من رب الرحمة ،ويصور القرآن هذا الموقف العظيم فى روعة تهز القلوب من عظمة رحمة الله بعباده المؤمنين.

"وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ ۖ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠) وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢١) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢)يوسف

وها هي رحمة الله تقترب، فتهبط على يوسف إذ اقترب الدلو منه فتعلق به يوسف

رفع الوارد دلوه من الجب بقوة، وحين رأى يوسف متعلقاً به، فوجئ بما رأى أول الأمر لكنه سرعان ما فرح لرؤية هذا الغلام الجميل مشرق الوجه وهو يتعلق بالدلو فنادى الوارد أصحابه والفرح يملأ قلبه وصاح: (يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ).يوسف

فأقبل أصحابه نحوه مستبشرين ثم اتفقوا على أن يخفوا أمر هذا الغلام عن بقية أفراد القافلة خوفاً من أن يشاركوهم فيه إذا علموا بالخبر (وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً)يوسف

وكل هذا الذي حدث ليوسف إنما هو بتقدير الله سبحانه وبتدبيره (وَاللّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) يوسف ،فهو سبحانه يعلم بما دبره أخوة يوسف من الكيد له، وهو يعلم بإنقاذ يوسف من قبل الوارد وإخفائه ليبيعه عبداً في مصر، فالأحداث تجري هكذا على أيدي هؤلاء ولكنهم لا يعلمون أن شأن هذا الغلام سيكون عظيم ،فقد أتاه الله الحكم والعلم لما بلغ أشده فهذا جزاء المحسنين ،ولكن لم تنتهي الابتلاءات بيوسف هنا، ولكن تمر السنون ويدخل يوسف لغياهب لا تقل ظلمة عن غياهب الجب في وحشته هي غياهب الظلم نعم سجنوه رغم براءته سجنوه بريئاً، بل سجنوه بعد أن شهدوا كلهم ببراءته، شهد العزيز وامرأته وابن عمها ونسوة المدينة شهدن ببراءته كذلك، وكانت محنة السجن هي آخر المحن التي ابتلى الله بها عبده ونبيه يوسف... وقد سجنوه ولم يحددوا مدة لسجنه بل قالوا"حَتَّى حِينٍ (٣٥)يوسف

ومع يوسف دخل إيمانه العميق السجن فأناره، ودخلت معه أخلاقه الكريمة السجن؛ ففاضت على السجناء بالرحمة، ومعه دخل الصبر الجميل يتقوى به على احتمال قسوة السجن ومرارته ووحشته، وكان قلب يوسف مطمئن برحمة الله ونصرته له رغم هذا الظلم المبين.

كان السجن هو مكان الخلاص الوحيد ليوسف من إغراء امرأة العزيز ونسوة المدينة، ولو وجد مكاناً غيره لاختاره، وقد فضل السجن ما يدعونه إليه ،حيث قال :كما ذكر القرآن الكريم:

"قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤)يوسف

في السجن لم يكن ليوسف المؤمن من نصير غير الله الذي يؤمن يوسف بأنه سيخرجه من السجن،وصحبته التي ألقى الله فى قلوبهم محبة يوسف ، وصدق الحق تعالى في قوله:

"اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ"(٢٥٧)البقرة

وفي السجن نظر يوسف فرأى أنه أمام واجبات كثيرة، فالسجن مكان بائس يضم التعساء والمجرمين، ويضم بعض الأبرياء أيضاً، كيوسف نفسه، فبدأ يقوم ما يستطيع تقويمه من هؤلاء، ويعزي الأبرياء على بلواهم.. وكان يخاطب العقول والأرواح والنفوس أولًا، مثلما يعتني بالأجسام التي أثقلتها في السجن شتى الآلام، فدعا السجناء إلى توحيد الله وعبادته... وأخذ يواسي السجناء ويخفف من آلامهم فإذا مرض واحد منهم قام بتمريضه، وإذا ضاق بواحد منهم صدره، وعَظهُ يوسف وشد عزْمه، وكان في السجن أُناسٌ قد انقطع رجاؤهم،

وطال حزنهم واشتد بلاؤهم، فكان يوسف يقول لهم: (أبشروا واصبروا) فإن مع العسر يسراً كان يوسف يبث في قلوب هؤلاء نور الاطمئنان، وأن الله الذي خلقهم فهو بهم رحيم

وكان يعرفهم يوسف بنفسه وبآبائه الأنبياء، ويدعو السجناء إلى عباده الله وحده وترك الأصنام

والشرك، وتتوالى أحداث الحياة على يوسف داخل سجنه لم يقنط من رحمة ربه وكيف وهو المطمئن القلب ؟كان يوسف من الصادقين، وعلمه الله الحكمة وتأويل الأحاديث، وقد فسر يوسف لمن جاءوا يسألونه عن تفسير رؤياهم كما ورد بالذكر الحكيم

"وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦)يوسف وهنا يبدأ ترتيب الأحداث التي جعلها الله أسبابا لنجاة يوسف من غياهب ظلمات الظلم ،وهي تفسير الأحلام لهذين الفتيين ، ليصدق تأويل يوسف لهم ثم تتوالى أحداث النجاة بترتيبا الهي، ورحمة من رب يوسف بهذا العبد الصالح ،حيث استيقظ ملك مصر ذلك الصباح منزعجاً ،وخائفاً فأسرع في الخروج مبكراً إلى مجلس الملك، واعتلى عرشه، وحوله كبار حاشيته، ثم جمع الكهنة، والعرافين، وقص عليهم ،رؤياه وقال :" وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ۖ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣) يوسف

استغرب الحاضرون لهذي الرؤيا – العجيبة الغريبة، ولكنهم اندهشوا لطلب الملك ؛أن يفسروا له رؤياه تلك التي أقلقته كل القلق ، ولكنهم عجزوا عن التفسير وقالوا

" قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (٤٤) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (٤٩)يوسف ، وهنا يفسر يوسف رؤيا الملك، وما كان تأويله إلا حقا، ونعمة له من ربه ، فاقتنع الملك بها كل الاقتناع وارتاح الارتياح كله، حين أدرك بعد تفسير رؤياه أنها رؤية عظيمة ،وخطيرة، تهم حياة شعبه وتؤثر في حياته طيلة أربعة عشر عاماً، فأمر بإحضار يوسف وقال " وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥٠) قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ۚ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ۚ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١)يوسف وهنا تنزل من السماء معطيات تبرئة يوسف ؛ليظهر الحق ويذهب الباطل بلا رجعة فالباطل ذهوقا.

وتنطق امرأة العزيز لتقول: ألان ظهر الحق وبان واضحا على مسمع ومرئي الجميع ، وأنَّ يوسف حقا من الصادقين، وتكتمل نعم الله على يوسف ليقول الملك

وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧)يوسف

أنها نعمة ربي فهو لا يضيع أجر المحسنين ،فهذا أجر الدنيا لمن اتقى فما بالك بأجر الآخرة الذي وصفه الله بأنه خير للذين آمنوا وكانوا يتقون، فهنيئاً لمن جعل لهم الله نعيم الدنيا باطمئنان قلوبهم، ورضاهم بقضاء الله وقدره خيره وشره رحمة منه ولهم في الآخرة خير النعيم انه الفوز بالدارين

"اللّهُمَّ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ "

الفصل الثامن
أيوب ينادي ربه

نبي الله أيوب خير مثال على صبر المؤمن المطمئن بالإيمان ، فقد لقى من عذاب المرض والداء ما يهلك الروح والبدن ، ورغم ذلك كان صابرا على ابتلائه وذكر في قصة نبي الله أيوب قول الله تبارك وتعالى" وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢) ص

كان أيوب كثير المال ءاتاه الله الغنى والصحة والمال وكثرة الأولاد، وابتلاه بالنعمة والرخاء ولم تفتنه زينة الحياة الدنيا ولم تخدعه ولم تشغله عن طاعة الله، وكان عليه السلام يملك الأراضي المتسعة من أرض حوران، ثم ابتلاه الله بعد ذلك بالضرّ الشديد في جسده وماله وولده فقد ذهب ماله ،ومات أولاده جميعهم، فصبر على ذلك صبرًا جميلًا، ولم ينقطع عن عبادة ربه وشكره، وفوق هذا البلاء الذي ابتلي به في أمواله وأولاده، ابتلاه الله تعالى بأنواع من الأمراض الجسيمة في بدنه، وهو في كل هذا البلاء صابرٌ محتسب يرجو ثواب الله في الآخرة، ذاكرًا لمولاه في جميع أحواله في ليله ونهاره وصباحه ومسائه.

وطال مرضه عليه السلام ولزمه ثماني عشرة سنة وكانت زوجته لا تفارقه صباحًا ولا مساء إلا بسبب خدمة الناس بالأجرة لتطعمه وتقوم بحاجاته، وكانت تَحْنو عليه وترعى له حقه وتعرف قديم إحسانه إليها

وشفقته عليها وحسن معاشرتها لها في حالة السراء، لذلك كانت تتردد إليه فتصلح من شأنه وتعينه على قضاء حاجته ونوائب الدهر، وكانت تخدم الناس لتطعمه الطعام وهي صابرة معه محتسبة ترجو الثواب من الله تبارك وتعالى.

كثرت البلايا، والأمراض على نبي الله أيوب عليه السلام طيلة ثماني عشرة سنة، وهو صابرٌ محتسبٌ يرجو الثواب من الله تعالى، فدعا الله وابتهل إليه بخشوع وتضرع قائلًا:{أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}سورة الأنبياء، ثم خرج عليه الصلاة والسلام لقضاء حاجته وأمسكت زوجته بيده إلى مكان بعيد عن أعين الناس لقضاء حاجته فلما فرغ عليه الصلاة والسلام أوحى الله تبارك وتعالى إليه في مكانه " ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢) ص فأمره تعالى أن يضرب برجله الأرض، فامتثل عليه السلام ما أمره الله به وأنبع الله تبارك وتعالى له بمشيئته وقدرته عَينين فشرب من إحداهما واغتسل من العين الأخرى فأذهب الله عنه ما كان يجده من المرض وتكاملت العافية وأبدله بعد ذلك كله صحة ظاهرة وباطنة، ولما استبطأته زوجته وطال انتظارها، أقبل نبي الله عليه الصلاة والسلام إليها سليمًا صحيحًا على أحسن ما كان فلما رأته لم تعرفه فقالت له: بارك الله فيك هل رأيت نبي الله أيوب هذا المبتلى؟ فو الله على ذلك ما رأيت رجلًا أشبه به منك إذ كان صحيحًا، فقال لها عليه الصلاة والسلام: فإني أنا هو.

وكان لنبي الله أيوب عليه السلام بَيدران بيدرٌ للقمح وبيدر للشعير، والبيدر هو الموضع الذي تجمع فيه السنابل لدرسها فبعث الله تبارك وتعالى بقدرته سحابتين، فلما كانت إحداهما على بيدر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض، وأفرغت السحابة الأخرى على بيدر الشعير الفضة حتى فاض وعمّ، وبينما كان أيوب عليه الصلاة والسلام يغتسل خرّ عليه وسقط جراد من ذهب وهذا إكرامٌ من الله تعالى لنبيه أيوب عليه السلام ومعجزة له، فشرع عليه السلام يحثي ويجمع في الثوب الذي كان معه استكثارًا من البركة والخير الذي رزقه الله إياه، فناداه ربه: يا أيوب ألم أكن أغنيك عمّا ترى، فقال السلام: بلى يا رب، ولكن لا غنى لي عن بركتك، رواه البخاري وأحمد من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا، ورواه أحمد في مسنده

وأغنى الله تبارك وتعالى عبده أيوب عليه السلام بالمال الكثير بعد أن كان قد فقد أمواله، وردَّ الله تبارك وتعالى لأيوب عليه السلام أولاده فقد قيل: أحياهم الله تبارك وتعالى له بأعيانهم، وزاده مثلهم معهم فضلاً منه وكرمًا، والله يؤتي فضله من يشاء ويرزق من يشاء بغير حساب

يقولُ الله تبارك وتعالى": وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤) ص، فعندما ضاق الحال بزوجة أيوب عليه السلام ذات يوم فباعت نصف شعرها لبعض بنات الملوك فصنعت له من ثمنه طعامًا فحلف أيوب عليه والسلام إن شفاه الله تعالى ليضربنها مائة جلدة، ولما أراد أيوب عليه السلام أن يبرّ بيمينه بعد شفائه

أمره الله أن يأخذ ضغثًا وهو الحُزْمة من الحشيش أو الريحان أو ما أشبه ذلك فيه مائة قضيب فيضرب بها زوجته ضربة واحدة وبذلك لا يحنث في يمينه، ولقد شرع الله تعالى له ذلك رحمة بها ولحسن خدمتها إياه وإحسانها إليه وشفقتها عليه أثناء مرضه ومصائبه التي ابتُلي بها طوال الثماني عشرة سنة التي ابتلاه الله بها، ولأنها امرأة مؤمنة صالحة تقية صابرة تؤدي حق زوجها عليها وتحسن معاشرته في السراء والضراء، وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله تعالى وأناب إليه وخافه، أنها رحمة الله بعبده ايوب فهو نعم العبد لهذا كانت استجابة الله على وجه السرعة مجرد أن ناده ربي والذكر الحكيم خير شاهد على رحمة الله بعباده المخلصين

" (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ(٨٤) الأنبياء

وهنا نجد أن الاستجابة تأتي على الفور فيكشف الله المرض عن أيوب عليه السلام، هذا كان يقين ايوب وثقته بربه ، أيوب صبر على دائه سنين طوال كان يخزى الدعاء لرد البلاء عنه خشية أن يكون ضاق بالصبر، ولان ربه رحيم ما أن دعا ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فجاءت استجابة الله ترتيبا وتعقيبا لدعائه فور نطقه فلفظ " فَاسْتَجَبْنَا" فالفاء للعطف هنا تفيد سرعة الاستجابة على نداء أيوب لربه .

كلما امتلأت القلوب بالإيمان اطمأنت، وصارت من عباد الرحمن المخلصين.

الفصل التاسع
ذو النون في الظلمات

كان يونس بن متى نبيا كريما أرسله الله إلى قومه فراح يعظهم، وينصحهم، ويرشدهم إلى الخير، ويذكرهم بيوم القيامة، ويخوفهم من النار، ويحببهم إلى الجنة، ويأمرهم بالمعروف، ويدعوهم إلى عبادة الله وحده. وظل ذو النون -يونس عليه السلام- ينصح قومه فلم يؤمن منهم أحد، وجاء يوم عليه فأحس باليأس من قومه.. وامتلأ قلبه بالغضب عليهم لأنهم لا يؤمنون، وخرج غاضبا وقرر هجرهم ووعدهم بحلول العذاب بهم بعد ثلاثة أيام، فلما خرج من قريته،

وتأكد أهل القرية من نزول العذاب بهم قذف الله في قلوبهم التوبة والإنابة وندموا على ما كان منهم إلى نبيهم، وصرخوا وتضرعوا إلى الله عز وجل، وبكى الرجال والنساء والبنون والبنات والأمهات. وكانوا مائة ألف و يزيدون ولا ينقصون. وقد آمنوا أجمعين. فكشف الله العظيم بحوله وقوته ورأفته ورحمته عنهم العذاب الذي استحقوه بتكذيبهم.. ولمّا خرج سيدنا يونس غضباناً من قومه، سار حتى وصل شاطئ البحر، فوجد قوماً في سفينةٍ في البحر، فطلب من أهلها أن يركبَ معهم، فتوسّموا فيه خيراً، وأركبوه معهم، فلمّا توسّطوا البحر جاءت رياحٌ شديدةٌ، وهاج البحر بهم، واضطرب بشدّةٍ حتّى وجلت القلوب، فقال من في السفينة:" إنّ فينا صاحب ذنبٍ "، فأسهموا واقترعوا فيما بينهم على أنّ من يقع عليه السهم

يُلقوه في البحر، فلمّا اقترعوا وقع السّهم على نبيّ الله يونس، ولكنهم لم يسمحوا بإلقائه في البحر لما توسّموه من صلاحهِ، فأعادوا القرعة ثانيةً فوقعت عليه أيضاً، فشمَّر يونس عليه السّلام ليلقي بنفسه في البحر، فأبوا ذلك لمّا عرفوا منه خيراً، ثمّ أعادوا القرعة ثالثةً، فوقعت عليه أيضاً، فما كان من يونس عليه السّلام إلا أن ألقى بنفسه في البحر، لأنّه كان يعتقد أنّه لا يُصيبه هلاكٌ أو غرق. وعندما ألقى بنفسه وكّل الله تبارك وتعالى به حوتاً كبيراً، فالتقمه وابتلعه، ابتلاءً له على تركه قومه الذين أغضبوه دون إذن من الله ، فدخل نبي الله يونس عليه السّلام إلى جوف الحوت تحفُّهُ عنايةُ الله، حتى صار وهو في بطن الحوت في ظُلمات حالكاتٍ ثلاثٍ، وهي ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت. وسار الحوت وفي جوفه يونس عليه السّلام، وانتهى بهِ إلى أعماق المياه في البحر، وهناك سمع يونس عليه الصّلاة والسّلام حِسّاً وأصواتاً غريبةً، فقال في نفسه: ما هذا؟ فأوحى الله إليه وهو في بطن الحوت: إنَّ هذا تسبيح دوابّ البحر، فما كان من نبيّ الله يونس عليه السّلام وهو في بطن الحوت، وفي تلك الظلمات إلّا أن أخذ يدعو الله عز وجل، ويستغفرهُ، ويسبّحه تبارك وتعالى قائلاً ما ورد عنه في القرآن: " وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ "، سورة الأنبياء . وسمعت ملائكة السّماء تسبيحه لله عز وجل، وسألوا الله تعالى أن يُفرّج الضّيق عنه، فاستجاب الله تعالى دعاءهُ، ونجّاه من الغمّ، والكرب، والضّيق الذي وقع فيه، لأنّه كان من المُسبّحين في بطن الحوت،

ومن الذاكرين لله، وأمر الله تعالى الحوت أن يُلقيه في البرّ، فألقاهُ الحوت في العراء، وهو المكان القفر الذي ليس فيه أشجارٌ، والأرض التي لا يُتوارى فيه بشجرٍ ولا بغيره، وكان يونس عليه السلام مريضاً ضعيفاً، وقد مكث نبي الله يونس عليه السّلام في بطن الحوتِ ثلاثة أيّام، وقيل: سبعة أيّام، وقيل غير ذلك. ولولا أنّه سبّح الله ،وهو في بطن الحوت، ، للبث في بطن الحُوت إلى يوم القيامة، ولبُعث من جوف الحوت، فكانت رحمة الله بيونس في تلك الكلمات التي أوحى إليه بها لتكون له طوق نجاة من هذا الابتلاء العظيم، فيونس نبي الله وهو من المرسلين

، قال الله تبارك وتعالى: وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ (١٤٦) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ (١٤٨)الصافات وعندما ألقى الحوت بيونس في هذا المكان وحيدا بلا أنيس ولا غطاء أنبت الله عليه شجرة القرع

. قال بعض العلماء في إنبات القرع عليه حِكَم جمة. منها أن ورقه في غاية النعومة وكثير وظليل وله فوائد كثيرة. وفيه نفع كثير ،كما أنه تؤكل ثماره ،وكان هذا من تدبير الله ولطفه بيونس ورحمته بعبده المؤمن فضلا عن إنه نبيه الذي اصطفاه، فعندما خرج يونس بغير إذن من ربه ولم يتمم رسالته من ربه ، فانظر ماذا وقع لقومه؟. لقد آمنوا به بعد خروجه..

ولو أنه مكث فيهم لأدرك ذلك وعرفه واطمأن قلبه وذهب غضبه.. غير أنه كان متسرعا.. وليس تسرعه هذا سوى فيض في رغبته أن يؤمن الناس، وإنما اندفع إلى الخروج كراهية لهم لعدم إيمانهم.. فعاقبه الله وعلمه أنه على النبي أن يدعو لله فحسب. والله يهدي من يشاء وأنه باطمئنان القلوب تدرك الغايات

الفصل العاشر
أم موسى وأمر الله

وتتجلى عظمة الله تعالى وقدرته مرة أخرى في القصص القرأنى؛ لبيان ماهية اطمئنان القلوب المتعلقة بربها، والتي تملك من اليقين ما يجعلها تفعل بوحي قلبها ما ينافى ماديات العقول ، أنها أم موسى تلقى بوليدها في اليم نعم !اليم أنه من منظور العقل الهلاك والموت ؛ ولماذا ستلقي به في اليم؟ خوفا من فرعون وبطشه ، أهو هروب من قتل إلى قتل أخر ؟ أما هناك نجاة خفية بين أمواج هذا اليم ، أنه أمر الله لام موس ؛ عندما خافت عليه من فرعون الذي كان يذبح كل ذكر يولد خشية أن يكون سبب هلاكه فقال الله تعال:" وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) القصص

هذا وحي ألهام ، وكل إنسان يمكن ان يوحى إليه وحي ألهام ، بأن يخطر بباله أمر يلح عليه بالتنفيذ لان فيه أمر خير من الله ، ولا يكون ذلك غلا مع عباد الله المخلصين ، ولهذا كان وحي الله لام موس بإلقاء ابنه الرضيع فى اليم وذلك عن طريق وضعه فى صندوق خشبي يحميه من الماء ، ما كان هذا الأمر إلا الخير كله وكان في باطنه النجاة ، وقال لها لا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليكِ وليس هذا فقط بل وجاعلوه من المرسلين ، باطمئنان قلب أم موس ألقت به في اليم وتولته رحمة ربها الذي سخر لها

اليم وأمواجه ليحملا موس كحضن الأم ، ثم ترسل أخته تتقصى اخباره كما ذكر بالقرأن الكريم في قوله تعالى " وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١) القصص

وهنا جعلت أختُه تتبع اثره و تنظر إليه وكأنها لا تريده، وذلك أنه لما استقر موسى عليه السلام بدار فرعون وأحبته امرأة فرعون وأخذته ليتربى في دار فرعون ، ولكن عرضوا عليه المراضع التي في دارهم فلم يقبل منها ثدياً، وأبى أن يقبل شيئاً من ذلك، فخرجوا به إلى السوق لعلهم يجدون امرأة تصلح لرضاعته، فلما رأته اخته بأيديهم عرفته ولم تظهر ذلك ولم يشعروا بها. قال الله تعالى: "وحرمنا عليه المراضع من قبل" أي تحريماً قدرياً، وذلك لكرامته عند الله وصيانته له أن يرتضع غير ثدي أمه، ولأن الله سبحانه وتعالى جعل ذلك سبباً إلى رجوعه إلى أمه لترضعه، وكان هذا وعد الله لها إنا رادوه إليكِ ،وهي آمنة بعد ما كانت خائفة، فلما رأتهم حائرين فيمن يرضعه "قالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون" قال ابن عباس : فلما قالت ذلك، أخذوها وشكوا في أمرها، وقالوا لها: وما يدريك بنصحهم له وشفقتهم عليه ؟ فقالت لهم: نصحهم له وشفقتهم عليه ورغبتهم في سرور الملك ورجاء منفعته، فأرسلوها، فلما قالت لهم ذلك وخلصت من أذاهم، ذهبوا معها إلى منزلهم فدخلوا به على أمه فأعطته ثديها فالتقمه، ففرحوا بذلك فرحاً شديداً، وذهب البشير إلى امرأة الملك، فاستدعت أم موسى، وأحسنت إليها وأعطتها عطاء جزيلاً،

وهي لا تعرف أنها أمه في الحقيقة، ولكن لكونه وافق ثديها، ثم سألتها آسيا امرأة فرعون أن تقيم عندها فترضعه، فأبت عليها وقالت: إن لي بعلاً وأولاداً، ولا أقدر على المقام عندك، ولكن إن أحببت أن أرضعه في بيتي فعلت، فأجابتها امرأة فرعون إلى ذلك، وأجرت عليها النفقة والصلات والكساوى والإحسان الجزيل، فرجعت أم موسى بولدها راضية مرضية قد أبدلها الله بعد خوفها أمناً، في عز وجاه ورزق دار. ولهذا جاء في الحديث "مثل الذي يعمل ويحتسب في صنعته الخير، كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها" ولم يكن بين الشدة والفرج إلا القليل يوم وليلة أو نحوه، والله أعلم، فسبحان من بيده الأمر، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، الذي يجعل لمن اتقاه بعد كل هم فرجاً وبعد كل ضيق مخرجاً، ولهذا قال تعالى: "فرددناه إلى أمه كي تقر عينها" أي به "ولا تحزن" أي عليه "ولتعلم أن وعد الله حق" أي فيما وعدها من رده إليها وجعله من المرسلين، اطمئنان القلوب نعمة من الله لعباده المخلصين وقوله تعالى: "ولكن أكثرهم لا يعلمون" أي حكم الله في أفعاله وعواقبها المحمودة التي هو المحمود عليها في الدنيا والآخرة، فربما يقع الأمر كريهاً إلى النفوس وعاقبته محمودة في نفس الأمر، كما قال تعالى: " وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦) البقرة

الفصل الحادي عشر
موسى وفرعون ويوم الزينة

المؤمن لا يخشى جبارًا ولا طاغيةً ؛ لأنه معصوما بقوة الله وجبروته ، فموسى عليه السلام نبي الله مطمئن القلب بعقيدة إيمانه ، ودعم الله له بمعجزات قدرته ؛ ليتصدى لفرعون الطاغية الذي نادى في الناس ليقول أنا ربكم الأعلى ، وها هي ملحمة قرآنية تصور من هو فرعون ، أهو حقا الأعلى أم الأصغر؟ لا بل والله هو من السافلين فقد ذكر في القرآن الكريم قول الله تعالى

"قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (٥٩)طه

هكذا قال موسى لفرعون وسحرته"مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ"

ويوم الزينة كما ذكره ابن كثير في التفسير هو يوم عيدهم ونوروزهم وتفرغهم من أعمالهم واجتماعهم جميعهم ؛ ولماذا اختير ذاك اليوم دون غيره ؟ليشاهد الناس قدرة الله على ما يشاء ، ومعجزات الأنبياء ، وبطلان معارضة السحر لخوارق العادات النبوية ، ولهذا قال : (وأن يحشر الناس) أي : جميعهم) ضحى) أي : ضحوة من النهار ليكون أظهر وأجلى وأبين وأوضح ، وهكذا شأن الأنبياء ، كل أمرهم واضح ، بيِّنْ ، ليس فيه خفاء ولا ترويج ؛ ولهذا لم يقل " ليلا " ولكن قال : نهارا ضحى .واختلف الكثير في يوم الزينة ،

قال ابن عباس : وكان يوم الزينة يوم عاشوراء .

وقال السدي ، وقتادة ، وابن زيد : كان يوم عيدهم .

وقال سعيد بن جبير: يوم سوقهم .المهم أنه كان يوم جمعا من الناس وعلى رأسهم فرعون وحاشيته وسحرته ،

إذن ما القوة التي جعلت موسى يقف أمام هؤلاء الجبابرة أمام جمعا من الناس ؟ألم يخشى الخذلان ؟ لا والله كيف وهو واثق من نصرة ربه له ولدينه ، تقدم موسى وقلبه مطمئن بفوزه على هؤلاء وهذا العرض القرآني يوضح عظمة هذا الموقف وقوة موسى وخذلان فرعون وحاشيته فقال الله تعالى

"قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (١١١) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (١١٢) وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (١١٤) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (١١٥) قَالَ أَلْقُوا ۖ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) الأعراف أنه لموقف عظيم يتحدث فيه السحرة إلى موسى بكل قوة وثقة فيما يفعلون ، بل ويتهمونه بأنه ساحر عليم،و يطلبون منه أن يلقى ما عنده من سحر

ليثبتوا لهذا الجمع كذب موسى وربه ، أو يبدؤن هم بإلقاء ما عندهم وحاشا لله فيما كانوا يقولون ، فألقوا ما لديهم فسحروا أعين الناس ، وجاء دور موسى بتدعيم ألهي من ربه ليوحي إليه أن يلقى عصاه ، يا ألهى جاء الأمر من الله بإلقاء موسى عصاه أمام أعينهم في حال موقفه ، أذن فكيف ذهب موسى بلا معطيات مادية تعينه من الأصل ؟ ذهب بيقين الإيمان، والثقة بربه، ودعمه له ،والاطمئنان،ليقول له ربه" أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ" أَيْ: تَبْتَلِعُ، ﴿ مَا يَأْفِكُونَ ﴾، ويَكْذِبُونَ مِنَ التَّخَايِيلِ، وَقِيلَ: يُزَوِّرُونَ عَلَى النَّاسِ. فَكَانَتْ تَلْتَقِمُ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَاحِدًا تلو الأخر حَتَّى ابْتَلَعَتِ الْكُلَّ ، ثُمَّ أَخَذَهَا مُوسَى فَصَارَتْ عَصًا كما كانت.وهنا كان الحق ثابت لا شك فيه أمام أعين هؤلاء السحرة الذي تأكد لهم بعين اليقين أن ما حدث أمام أعينهم لم يكن سحر انه حق مبين ، فما كان منهم إلا أن سجدوا لعظمة الله وقدرته ،ولم يخشوا فرعون بل آمنوا برب موسى وهرون، ووقتها جن جنون فرعون ليقول لهم كما حكى لنا القران الكريم في قوله تعالى " قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (١٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤) قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (١٢٥) وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ۚ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (١٢٦)الأعراف.

وبمجرد وقوع الإيمان بقلب السحرة سجدوا لله لم يلمس الإيمان قلب السحرة فقط بل وقع فيه وقوعا والوقوع له صوت واثر؛

لهذا اعلون إيمانهم فور رؤياهم لعظمة الله بلا تردد، ولا ريبة من جبروت فرعون، وقالوا: إن إلى ربنا منقلبون إي إليه راجعوان وإليه مصيرنا ،واستعانوا بربهم على جبروت فرعون والله نصير المؤمنين،فالإيمان مفتاح لاطمئنان القلوب.

الفصل الثاني عشر
آسيا زوجة فرعون وبيتا لها بالجنة

"آسيا بنت مزاحم"، أو امرأة فرعون كما ذكرها القرآن الكريم وذكرتها كتب التاريخ كامرأة لديها القدرة على الاختيار، كانت ملكة متوجة، لديها من معالم الترف ما يكفيها دهراً كاملاً، هي امرأة فرعون الحاكم التي تتحرك الدنيا وفقاً لإشارة منها، بدأت قصتها بالعثور على تابوت "موسى" الطفل الذي قذفت به أمه في اليم بعد أن أمر زوجها فرعون بذبح الرضع، احتضنته كأمه، وأقنعت زوجها بأن يكون لهما طفلاً، ثم صدقته نبياً، عندما بدأت رحلته مع النبوة.

ذُكِرتْ آسيا امرأة فرعون هذا الطاغية في كتاب الله عز وجل امرأة مؤمنة أمنة بالله رغم أنها في كنف ذلك الطاغية الظالم الكافر فقال الله تعالى " وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١)التحريم

عندما دعا موسى عليه السلام إلى توحيد الله تعالى آمنت به آسيا امرأة فرعون وصدقته، ولكنها في البداية أخفت ذلك خشية فرعون وما لبثت حتى أشهرت إيمانها بدين موسى عليه السلام، وجن جنون فرعون لسماعه هذا الأمر المروع بالنسبة له، وحاول عبثاً ردها عن إسلامها وأن تعود كما كانت على عقيدتها الفاسدة.

فقد كانت تستمع باهتمام لأخبار موسى وفوزه في معركة السحرة، ثم أعلنت إيمانها برب موسى، لم تختر الملك، والمال، واختارت

العذاب تحت صخرة ضخمة في حرارة الشمس التي ألقى بها فرعون تحتها للرجوع عن الإيمان برب موسى، وأثرت أن تطلب من الله الذي آمنت به لتوها أن يريها بيتها في الجنة، فهي من ربته،وآمنته وحمته من غدر فرعون حتى يشتد عوده ويكمل رسالته، هي من أحبت طفلها فصدقته وآمنت بربه، وهى من احتملت العذاب من أجل نظرة لقصرها في الجنة، وقال رسول الله صل الله عليه وسلم :عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مُرَّةَ الهَمْدَانِيِّ، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ). وهى من وضعها النبي محمد "عليه الصلاة والسلام" ضمن أربعة سيدات وصفهن بأنهن من "كملن" خديجة بنت خويلد، فاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسيا بنت مزاحم، امرأة فرعون.

وهذا الحديث رواه البخاري (٣٤١١) ، ومسلم (٢٤٣١) وغيرهما من أصحاب السنن تحملت آسيا كل هذا العذاب يقينا من قلبها أن الله سيجعل لها بيتا في الجنة ولن يردها مكسورة بدعائها له باعت الدنيا والعز والملك والسيادة؛ لتشتري الإيمان أنها قلوب اطمأنت بما أعده الله لها بالجنان .

الفصل الثالث عشر
السيدة مريم تحت جزع النخلة

السيدة مريم عليها السلام أم النبي عيسى المسيح هي أفضل نساء العالمين وهي امرأة جليلة عفيفة طاهرة، صبرت على أذى قومها، وكانت تقية عارفة بالله تعالى ،وقد أكرمها الله عز وجل بكرامات ظاهرة، واصطفاها من بين جميع النساء، لتكون أمًّا لنبيه عيسى المسيح عليه السلام دون أن يكون لها زوج أو يمسسها بشر.

والسيدة مريم عليها السلام هي أفضل نساء العالمين بنص القرءان الكريم فقد قال الله عز وجل في محكم تنزيله " وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣)آل عمران فقوله تعالى: اصطفاك؛ أي اختارك واجتباك وفضلك.

وبنص الحديث النبوي الشريف فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام:" وخير النساء مريم ابنت عمران ثم فاطمة بنت محمد ثم خديجة بنت خويلد ثم آسيا بنت مزاحم"

وكانت أمها امرأة عمران واسمها حنة وهي، لا تلد فرأت ذات يوم طيرًا يزق فرخه، فتحركت فيها عاطفة الأمومة، وطلبت من الله عز وجل أن يرزقها ولدًا صالحًا، ونذرت أن تجعله خادمًا في بيت المقدس، لأنها كانت

تظن أنه سيكون ذكرًا، ولأن الذكر عادة يصلح للاستمرار على خدمة بيت المقدس موضع العبادة، ولا يلحقه عيب بذلك.

لكن الله تبارك وتعالى شاء لحنة امرأة عمران أن تحمل بأنثى، تكون سيدة نساء العالمين، وأمًّا لنبي من أولي العزم من الرسل وهو عيسى المسيح السلام.

ولما ولدت امرأة عمران وضعت أنثى و أسمتها مريم، وتولاها الله سبحانه وتعالى برحمته وعنايته وشاء الله عز وجل لنبيه زكريا عليه السلام، وكان زوج أخت مريم، أن يتكفلها دون غيره من الرجال ؛ فكان زكريا عليه السلام يعلمها تعاليم دين الإسلام والأخلاق الحسنة وينشئها على الأخلاق الفاضلة، فنشأت مريم عليها السلام صالحة عفيفة، طاهرة، عارفة بالله عز وجل، وتقية وولية تداوم على طاعة ربها عز وجل أناء الليل وأطراف النهار.فانبت الله مريم نباتا حسنا فهي ستكون أم ذاك النبي الذي سيرسله الله بدينه ، فأكرمها الله سبحانه

بالكرامات الظاهرة التي كانت آيات عجيبة دالة على عظيم قدرة الله سبحانه وتعالى، فقد كان نبي الله زكريا عليه السلام يرى عندها في المحراب، وبعد أن يغلق عليها أبواب المسجد، كان يرى فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، كرامة لها من الله عز وجل، يقول الله تعالى:" فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧)آل عمران.

و لما جاء أمين الوحي جبريل عليه السلام مريم عليها السلام حاملاً روح نبي الله عيسى المسيح المشرف المكرم، فنفخ بروح عيس فى مريم كما ذكر بكتاب الله الكريم " وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ (٩١)الأنبياء

،فحملت من وقتها بقدرة الله ومشيئته، بعيسى عليه السلام ونفذت مشيئة الله تعالى في مريم عليها السلام، كما شاء ربنا تبارك وتعالى وقدر في الأزل. واستمر حمل مريم عليها السلام بعيسى المسيح كحمل بقية النساء، بعدد من الأشهر، ثم ذهبت مريم عليها السلام بحملها إلى مكان بعيد عن الناس؛ خوفًا من الناس وقومها ، وهي تتساءل كيف سيتقبل الناس حالها ومن سيصدقها ، فصبرت على مصيبتها صبرًا جميلاً، ولما جاءها المخاض وهو وجع الولادة

، فألجأها هذا الألم إلى ساق نخلة يابسة، فأسندت ظهرها إلى جذع تلك النخلة وقد اشتد همها وكربها وقالت :كما جاء في وصف القران الكريم في موقفها هذا " فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا (٢٣) فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥)مريم

قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا "كان الموقف عظيما على مريم وتمنت لو كانت روحها زهقت قبل ان تكون فى هذا الحال ، ولكن تدبير الله لمريم عظيم ، وهنا جاءها الفرج

واليسر بعد العسر ،لينادي من تحتها مناديا ليخبرها " أَلَّا تَحْزَنِي ".

فطمأنها جبريل عليه السلام وبشرها، بأن الله عزوجل قد أجرى تحتها نهرًا صغيرًا عذبًا فراتًا، وأنه يطلب منها أن تهز جذع النخلة ليتساقط عليها الرطب الجني، وأن تأكل وتشرب مما رزقها الله عز وجل، وأن تقر عينها وتفرح وتقر عيناها بعيسى ،حيث جاء الذي خلق الله له المعجزات وأنطقه في المهد ، وأخبرها جبريل بأمر الله ، وأن تقول لمن رءاها وسألها عن ولدها إنها نذرت للرحمن صوما ولن تكلم اليوم انسيا أي أنه لن تكلم أحدًا؟كما ورد فى الذكر الحكيم بوصف رائع المنطق العقلي والإيمان القلبي" فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا (٢٦) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۖ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَۚ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤)مريم

وذهبت به إلى قومها، ، فلما رأتهم من بعيد، حملت ولدها عيسى عليه السلام، وضمته بين ذراعيها برأفة وحنان، ثم أتتهم به، وهي تحمله، وقلبها كله ثقة وتوكل على الله عز وجل.

وقلبها مطمئن بنصر الله لها ،ونجاتها من افتراء قومها عليها ، ولم تنطق مريم حرف واحد كما أمرها الله حتى عندما اتهموها انها اتت شيئا فريا و أشارت إليه أن يكلموه فتعجبوا من

ذلك وقالوا لها مندهشين" كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا " فأنطقه الله تبارك وتعالى، الذي أنطق كل شيء، أنطقه الله تعالى فقال لهم بلسان فصيح:" قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ " أنطقه الله عز وجل ليخفف عن أمه مريم عليها السلام الوطأة.ويبرائها من افترائهم عليها انها رحمة الله بعباده المخلصين ووعدها الحق بنصرتهم فى بلاءهم العظيم حيث حملت مريم المصائب

من قومها بنفس راضية مرضية، غير معترضة على أمر ربها العظيم ، حتى نالت هذه المنزلة عند خالقها فكانت سيدة نساء العالمين، لذلك ذكرها الله تعالى بكتابه الكريم ، وأثنى عليها الثناء الحسن.وقال تعالى " " وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢)آل عمران

الفصل الرابع عشر
السيدة عائشة وحادثة الإفك

السيدة عائشة ﷺ عائشة بنت أبي بكر الصديق، وهي أم المؤمنين، وزوج الرسول ﷺ، وأحب نسائه إليه، ولدت ﷺ في السنة التاسعة قبل الهجرة، وقد أنزل الله فيها آيات في القرآن لتبرئتها من حادثة الإفك

لمّا كانت السنة السادسة للهجرة خرج النبي (صلى الله و عليه و سلم) غازيا إلى بني المصطلق و قد ارتحلت معه أم المؤمنين السيدة عائشة بنت الصّديق ، محمولة في الهودج على ظهر البعير. و ما إن فرغ من غزوته ، قفل عائداً إلى المدينة ، حتى إذا كان قريباً منها أناخ رسول الله (صلى الله و عليه و سلم) ببعض المنازل ليرتاح ساعة من الليل .

و قبل أن يسفر الصبح عن وجهه أذن النبي (صلى الله و عليه و سلم) للناس بالرحيل فتهيئوا له . و كانت السيدة عائشة ﷺ حينئذ قد خرجت لقضاء بعض شأنها ، و لمّا عادت إلى رحلها تفقدت عقدها فإذا هو قد انسل من عنقها . فذهبت في طلبه ، غير أنها لما همت بالعودة وجدت القوم قد ارتحلوا و ما دروا أن أم المؤمنين تخلفت عنهم ، و ما شعر الجماعة الذين كانوا يرحلّون هودجها بخفته

و لم يمض وقت طويل حتى وصلت عائشة ﷺ على بعير يقوده صفوان بن المعطل السلمي الذي كان قد أوكل إليه النبي (صلى الله و عليه و سلم) حراسة مؤخرة الجيش فلمّا علم بإبتعاد الجيش و أمن عليه من غدر العدو

، ركب راحلته ليلتحق بالرّكب فمرّ في طريقه بالسيدة عائشة التي لم يعرفها إلاّ بعد أن اقترب منها .

فلمّا رآها ملتفة في جلبابها لم يستطع أن يملك صيحته أو يكتم دهشته فصاح " إنا لله و إنا إليه راجعون " ظعينة رسول الله ؟ ما خلفك يرحمك الله ؟ فما كلمته .

فقدم بعيره إليها ثم تأخر عنها حتى ركبت ، فانطلق يقوده بها دون أن يكلمها كلمة واحدة حتى أبلغها مأمنها في قومها .

فلمّا رأى الناس ذلك تكلم كل منهم على روايته ، و ما يليق به ، و ارتجّ المعسكر و اغتنم المنافقون الفرصة للنّيل من شرف بيت النبوة فقالوا شططا و افتروا على عائشة كذبا .

فقال زعيم المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول. حينما رآهما : و الله ما نجت منه و لا نجا منها ! و خاض مع الخائضين في حديث الإفك: مسطح بن أثاثة و حسان بن ثابت و زيد بن رفاعة و حمنة بنت جحش ، وحاشا لله أن تكون ﷺ كما وصف هؤلاء

ولما بلغ الخبر رسول الله (صلى الله و عليه و سلم) و أثر فيه ، لم تكن السيدة عائشة ﷺ وأرضها تعرف شئ عما يدور حولها،و لا تعرف شيئا ممّا في نفس القوم .

و في المدينة مرضت السيدة عائشة مرضا شديدا ألزمها الفراش بضعا و عشرين ليلة ، فأثار وجع قلبها أن ترى من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما لم تعتاده من قبل فهو الذي اعتادت منه اللطف،

فتسأل نفسها ما بال الزوج الحنون لا يرقَ لحالها ،و لا يحفل بشأنها؟ فلما أحسّت منه بعدا و جفوة استأذنته في الانتقال إلى أمها لتمرضها فأذن لها .

و مرت الأيام و تماثلت عائشة ﷺ للشفاء فخرجت من بيت أبيها لبعض حاجتها و معها أم مسطح بنت أبي رهم . و لما كانتا تمشيان في الطريق عثرت أم مسطح في ثوبها فقالت : تعس مسطح ! . فتعجبت ﷺ و أنكرت ما سمعته من رفيقتها ! لماذا تدعو على ولدها أو ليس مسطح رجلا صالحا قد شهد بدرا ؟ فكيف تدعو عليه أمه؟ عند ذلك سألت أم مسطح عائشة : أو ما بلغك يا بنت أبي بكر! قالت عائشة : و ما الخبر؟

فروت لها أم مسطح بما كان من أصحاب الإفك ، فرجعت عائشة إلى أمها مشجوجة الصدر من وجعها لما سمعت من خبر، فقالت لها و دموعها كالسيل : يا أماه يغفر الله لك ، تحدث الناس بما تحدثوا به و لا تذكرين لي من ذلك شيئا ؟ ... فلم تملك أمها إلاّ أن تقول : أي بنية هوني على نفسك يا عائشة ، في الله لقلّما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلاّ أكثرن و كثر الناس عليها .

فقالت عائشة : سبحان الله و لقد تحدث الناس بهذا ؟ و ازداد بكاؤها ، فبكت ليلتين و يوما ، ولم يرقأ لها فيهم دمع حتى ظنت أن البكاء فاتق كبدها ، ولم ترى عيناها النوم.

أما رسول الله (صلى الله و عليه و سلم) لمّا لم ينزل عليه الوحي شيء في شأنها استشار أصحابه في فراقها فأشار عليه أسامة بن زيد بإمساكها قائلاً : أهلك يا رسول الله و لا نعلم إلاّ خيرا .

و أمّا علي فقال : يا رسول الله سل الجارية بريرة تصدقك ، فذكرت أنها لا تعلم إلاّ خيرا و أنها ما كانت تعيب عليها شيئا إلاّ انها كانت – أي بريرة – تعجن العجينة و تأمر عائشة بحفظها ... فتنام عنها فتأتي الدواجن فتأكلها، ثم سأل ضرتها زينب بنت جحش عن أمرها فقال يا زينب ما علمت ممّا رأيت ؟

فقالت يا رسول أحمي سمعي و بصري ، و الله ما علمت إلاّ خيرا ، و هي التي كانت تساميني فعصمها الله بالورع ، و لما فرغ النبي (صلى الله و عليه و سلم) من استشارة بعض أفراد آل بيته في أمر يتعلق بهم دون غيرهم أحس بالإطمئنان لمقالتهم فدخل المسجد و صعد المنبر ليرد عن زوجته ألسنة السوء فقال : ((يا أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي و يقولون عليهم غير الحق ؟ و الله ما علمت منهم إلاّ خيرا ، و يقولون ذلك لرجل و الله ما علمت منه إلاّ خيرا ، و ما يدخل بيتا من بيوتي إلاّ و هو معي)) .

ثم ذهب إلى عائشة في منزل أبيها فوجدها تبكي ، فسّلم عليها ثم جلس ، و لم يجلس عندها منذ شهر ، فأراد أن يخرق الصمت المتواصل بينهما ، و رغب في التماس الحقيقة من مصدرها مادام لم يوح إليه بشيء في شأنها فقال لها : ((أما بعد يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا و كذا فإن كنت بريئة

فسيبرئك الله ، و إن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله و توبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه)) .

و حينئذ جف دمع عائشة، و قالت لأبويها أن يجيبا عنها رسول الله (صلى الله و عليه و سلم) . فلم يدريا ما يقولان . فقالت : و الله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبدا ، لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم و صدقتم به ، فلئن قلت لكم إنّي بريئة – و الله يعلم أني بريئة – لا تصدقوني بذلك و لئن اعترفت لكم بأمر – و الله يعلم أني منه بريئة – لتصدقنني بذلك و الله ما أجد لكم مثلا إلا قول نبي الله يعقوب يوسف إذ قال : " فصبر جميل و الله المستعان على ما تصفون " .وهنا نزلت الرحمة من السماء لهذا القلب المطمئن الموقن بنصرة الله له ، وما زال الجميع فى مجلسهم ، حتى نزل الوحي فسري عن رسول الله (صلى الله و عليه و سلم) و هو يضحك بعد أن مسح قطرات العرق التي تحدرت من جبينه،

ثم قال صل الله عليه وسلم "يا عائشة احمدي الله ، فقد برأك الله " فقالت لها أمها : قومي إلى رسول الله (صلى الله و عليه و سلم)

فقالت : لا و الله لا أقوم إليه و لا أحمد إلا الله الذي برأني .

فقال رسول الله (صلى الله و عليه و سلم) : ((لقد عرفت الحق لأهله)).

ثم خرج النبي (صلى الله و عليه و سلم) إلى الناس، وخطب فيهم ثم ،تلا عليهم قول الحق في تبرأة هذه البتول الطاهرة بنت أبي بكر وزوج رسول الله صل الله عليه وسلم ،

ثم أمر بمسطح بن أثاثة و حسان بن ثابت و حمنة بنت جحش و كانوا ممّن أفصحوا بالفاحشة فضربوا حدّهم ثمانين جلدة .

" إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢) لَوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّه رَؤُوفٌ رَحِيمٌ (٢٠) النور"

تلك هي الآيات التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على نبيه الكريم يبرئ فيها السيدة عائشة ﷺ مما اتهمت به، فكل متهم بريء له بهذه السيدة العظيمة أسوة حسنة، إن الذي برأها سيبرّئه، والحياة تضج، وتمتلأ بمشكلات ؛ من نوع أن تلصق بإنسان ما تهمة هو منها بريء، وهذا الذي يحدث له حكمة بالغة، وربنا سبحانه وتعالى يقول:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(١١) النور

و الإفك هو الكذب، بل هو أشد أنواع الكذب، الإفك أن تختلق شيئا لا أصل له، أن تقلب الحق باطلا، والباطل حقا، أن تختلق شيئا لا أصل له، وهو الذي يسميه العلماء استنباطا من هذا الحديث الإفكَ، فالذي يغتاب فإنه يقول ما هو واقع، والعصبة هم الجماعة وهنا هم جماعة الشر وأهل السوء وهم لهم عذاب عظيم، ومع ذلك يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (سورة الحجرات: الآية ١٢)

الفصل الخامس عشر
أنت وقلبك

بقلبك أنت تكون، فجعل الله القلوب محل الإيمان ،والتقوى فبهذا القلب تستطيع ان تصنف أفعالك ، وأحكامك من حيث الصلاح وعدمه على ما يدور من حولك في هذا الكون، وقد ذكر رسول الله صل الله عليه وسلم في هذا القلب قولا حق حيث قال عليه الصلاة والسلام في حديثه الشريف

عن النعمان بن بشير ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب))؛ متفق عليه

رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه ، ومسلم في كتاب المساقاة،

ومن هذا الحديث الشريف يتضح أن صلاح العمل مرتبط بصلاح القلب، وفساده مرتبط بفساده، يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: القوم إذا صلحت قلوبهم فلم يبقَ فيها إرادة لغير الله عز وجل صلحت جوارحهم فلم تتحرك إلا لله عز وجل، وبما فيه رضاه، ويلزم من صلاح حركات القلب صلاح حركات الجوارح كتاب جامع العلوم والحكم؛ ولهذا يجب

: يجب على المسلم أن يهتم بصلاح قلبه، فيتفقده دائمًا، ويتجنب ما قد يعرض له من المفسدات، سواء أكانت من الشبهات أم من الشهوات؛ وذلك لأنه إذا صلح القلب تبعته جميع أعضاء البدن، و مما يعين على صلاح القلب: التضرع إلى الله تعالى، واللجوء إليه، وكثرة الدعاء؛ويقول الله تعالى حثًا لعباده المؤمنين على الدعاء

" رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٨)آل عمران

وكان من دعاء النبي أيضا طلبًا لاطمئنان القلب وكان من دعاء النبي ﷺ: ((اللهم مصرِّف القلوب، صرِّف قلوبنا على طاعتك))؛ رواه مسلم، وكان ﷺ يعلِّم أصحابه رضي الله عنهم أن يدعوا بهذا الدعاء: ((اللهم إني أسألك...قلبًا سليمًا، وأسألك لسانًا صادقًا))؛ رواه أحمد

أن الله تعالى عندما جعل القلب محل الإيمان خلق فيه الاطمئنان الذى يحرك مصدقية هذا القلب فى وجهته فالإيمان ان تشهد ان لا إله إلا الله مطمئنا بها قلبك أى موقن بها وبقدسيتها وأنها الحق وذكر الله فى كتابه العزيز " الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨)"الرعد فهنا نجد ذكر الله تعالى بأن الإيمان مرتبط باطمئنان القلوب ،ويكون هذا الاطمئنان بذكر الله تعالى فقوله تعالى ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

أسلوب قصر مؤكد أداته ألا، حيث لو أن الله تعالى قال: تطمئن القلوب بذكر الله، هذه الصيغة ليس فيها قصر، لا يمنع أن تكون القلوب مطمئنةً بغير ذكر الله، تطمئن به وبغيره، أما حينما يقول الله عزوجل: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ أي أن القلوب لا تطمئن إلا بذكر الله،

هذا كلام الله الحق ، فإن أردت الطمأنينة،و الراحة، والسكينة، والاستقرار، وتوازن القلب، فعليك بذكر الله تعالى؛ فالإنسان في النهاية قلب،حيث أن الأشياء المادية التي تحيط به لا قيمة لها من غير هذا الاطمئنان الذى يرزق الله به القلوب المطمئنة بذكره،فقد تجد إنساناً غارقاً في النعيم، وهو من أشقى الأشقياء، وقد تجد إنساناً يعيش حياةً خشنة، وهو من أسعد السعداء، العبرة القلب،واطمئنانه بمعية ربه وذكر الله، وحث عليه الرسول صل الله عليه وسلم حيث قال ((ألا أخْبِرُكم بخيرِ أعمالِكم، وأرفَعِها في درجاتكم، وأزكاها عند مليكِكم، وخير لكم من الوَرِق والذهب، وخير لكم من أن تَلْقَوا عَدُوَّكم، فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقَكم؟ قالوا: بلى قال: ذِكْرُ الله))

"أخرجه الترمذي ومالك، عن: أبو الدرداء "

ويكون ذكر الله بأن تذكره في آياته، وتقرأ قرآنه، ،تدعو إليه، ذكر الله أن تعبده وتخشاه كأنك تراه وقال تعالى "﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ(٣٥ ﴾المائدة حيث أن تقوى الله في أن تفعل ما يأمرك وتنتهى عما ينهيك عليك أن تبتغى الوسيلة منه وحده ولا تستعين بغيره ؛يقينا انه يعطيك من عظيم نعمه، وعليك أن تحمد الله،بقول الحمد لله،

أن توحده، بلا إله إلا الله، أن تكبره الله اكبر ، أن تقول: حسبي الله ونعم الوكيل، أن تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله ؛ فبذكر الله يستنير قلبك وعقلك،وتعرف خطاك خير السبيل، ذكر الله به تطمئن القلوب، وكل إنسان يبحث عن طمأنينة القلب عليه أن يزود قلبه بهذا الذكر ، ولمن استقام على أمر ربه كان له سعة في الرزق، وبسط له الخير في الدنيا ،ومن أعرض كان له عذابا مستمرا في الدنيا ،وعذابا شاقا شديدا موجعا مؤلما ،و مشقة لا راحة معها، وذكر الله قوله الحق في ذلك

" وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٦) لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧) الجن

الفصل السادس عشر
نسائم عطرة من حياة الرسول
[صل الله عليه وسلم]

نسائم فواحة عطرة من ذكرى الحبيب محمد تطيب النفس ،وتهل بها البركات ويزيد القلب اطمئنانا بذكره ،وتزيد عليه ألف صلاة وسلام ؛ هذى بعض من نسائمه تخبرنا كما كان رسولا إنسانا ،صاحبا ،ورفيقا ،وأبا حنونا وزوجا رحيما ،وقائدا حكيما ،وفارسا مغوارا. لقد خصّ الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً - صلّى الله عليه وسلّم - بأجمل الصفات وأحسنها وأتمّها من الظّاهر والباطن، وإنّ أهمّ ما خصّه به من الخلق العظيم هو الحياء والكرم والشّجاعة والصّفح والحلم، وغيرها من كلّ الأخلاق الجميلة. قال صلّى الله عليه وسلّم:" إنّ الله بعثني لأتمّم حسن الأخلاق "، رواه مالك في الموطأ، ويقول أيضاً:" أدّبني ربّي تأديباً حسناً، إذ قال: خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين، فلما قبلت ذلك منه قال: وإنّك لعلى خلق عظيم "، رواه السّمعاني، وعندما سئلت أم المؤمنين عائشة ﷺ، عن خلقه قالت فأوجزت وجمعت:" كان خلقه القرآن "، رواه مسلم. والمقصود بذلك هو أنّه لا يوجد أي خلق حسن يأمر به القرآن ويدعو إليه إلا وقد أخذ هو - صلّى الله عليه وسلّم - به، ولا يوجد فيه خلق سيء نهي عنه إلا وهو متعال ومبتعد عنه صلوات الله وسلامه عليه

سوف نعرض في السطور التالية سيرعطرة من حياة محمد صل الله عليه وسلم واسأل الله العظيم أن تكون لنا نورا به تطمئن قلوبنا وتزداد فرحا بأن محمد عليه صلوات الله وسلامه لنا رسولا وإماما

١ – كان رسول الله صل الله عليه وسلم سمته الحياء والكرم

قال رسول الله -ﷺ-: "أنا أديب الله، أمرني بالسخاء والبر ونهاني عن البخل والجفاء، وما شيء أبغض إلى الله عز وجل من البخل وسوء الخُلق... وأنه ليُفسد العمل كما يُفسد الطين العسل". ولقد كانت الأخلاق الكريمة مجسدة في أعماله ومواقفه وعلاقاته؛ فإذا بكل خطوة يخطوها تُعبر عن مفردة من مفردات الخُلق الرفيع، مما يجعله الشاهد على من عاصره ومن يأتي بعده يوم القيامة، ألم يقل عنه ربنا في محكم آياته: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً* وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً))،

عن أبي سعيد الخدري قال: "كان رسول الله -ﷺ- أشد حياء من العذراء في خِدرها، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه".

وقال: "كان رسول الله -ﷺ- حيياً لا يُسأل شيئاً إلا أعطاه "لا يُخجل أحداً ولا يُعاتب

عن أنس بن مالك قال: كانت لرسول الله -ﷺ- شِربة يفطر عليها وشِربة للسحر وربما كانت واحدة... فهيئتها له ذات ليلة فاحتبس -تأخر- النبي فظننت أن بعض أصحابه دعاه، فشربها، فجاء بعد العشاء بساعة فسألت بعض من كان معه هل كان النبي أفطر في مكان أو دعاه أحد؟

فقال: لا! فبتُ بليلة لا يعلمها إلا الله من غمٍ أن يطلبها مني النبي ولا يجدها فيبيت جائعاً، فأصبح صائماً وما سألني عنها ولا ذكرها حتى الساعة.

وعن أنس أيضاً قال: خدمت رسول الله -ﷺ- عشر سنين فوالله ما قال لي "أُفٍ" قط، ولا قال لي لشيء: لِمَ فعلتَ كذا؟ و"هلا فعلتَ كذا؟"

قال أمير المؤمنين -ﷺ-: "كان رسول الله -ﷺ- أجود الناس كفاً وأكرمهم عِشرة، من خالطه فعرفه أحبّه".

وعن أبي عبد الله -ﷺ- قال: "إن رسول الله -ﷺ- كان لا يسأله أحد من الدنيا شيئاً إلا أعطاه، فأرسلت إليه امرأة ابنا لها فقالت: "انطلق إليه فاسأله فإن قال لك: "ليس عندنا شيء"، فقل: "أعطني قميصك". ففعل ابنها ما طلبت منه ولم يكن عند رسول الله شيء فأخذ قميصه فرمى به إليه".

جاء رجل من الصحابة إلى رسول الله ﷺ وطلب منه دابة يسافر عليها قائلاً: «احملني»، فأراد النبي أن يمازح الرجل ويطيب خاطره فقال له: إنا حاملوك على ولد الناقة، استغرب الرجل كيف يعطيه النبي ﷺ ولد الناقة ليركب عليه، فولد الناقة صغير ولايتحمل مشقة الحمل والسفر، وإنما يتحمل هذه المشقة النوق الكبيرة فقط، فقال الرجل متعجباً: وماأصنع بولد الناقة! وكان النبي ﷺ يقصد أنه سيعطيه ناقة كبيرة، فداعبه النبي قائلاً: وهل تلد الإبل إلا النوق؟!» رواه أبوداود.

وحينما فتحت مكة والطائف وغيرها كثر المال (وكان نصيب الرسول ﷺ من هذه الغنائم .. غنم بين جبلين) فنظر أعرابي إلى الغنم وقال : ما أكثر هذه الغنم . فقال الرسول ﷺ : هل أعجبتك .. قال : نعم

فقال الرسول عليه الصلاة والسلام ((هي لك)).. فقال الأعرابي : يا محمد أتصدقني القول ؟؟!! فأجاب الرسول صل الله عليه وسلم ((هي لك خُذها إن شئت)) فقام الرجل يجري إلى الغنم ويلتفت إلى من حوله ... فأخذها وعاد إلى قومه

يقول : يا قوم اسلموا لقد جئتكم من عند خير الناس ، إن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ابدا .

٢ – كان رسول الله صل الله عليه وسلم رحيما محبا

رحمته ﷺ بأمته

قال تعالى : { لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } عن عبد الله بن عمرو ﷺ أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم : { رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } وقول عيسى عليه السلام : { إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } فرفع يديه وقال اللهم أمتي، وبكى

فقال الله عز وجل يا جبريل، اذهب إلى محمد وربك أعلم، فسله ما يبكيك؟

فأتاه جبريل عليه السلام، فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قاله وهو أعلم

فقال الله يا جبريل، اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك رواه مسلم في كتابه الإيمان

ومن طريق بن وهب عن يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت لرسول الله ﷺ :

يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد فقال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منه يوم العقبة إذ عرضت نفسي على بن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد ظللتني فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك لك و ماردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم قال فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فيما شئت إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين فقال رسول الله ﷺ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا وهذا لفظ مسلم فقد عرض عليه عذابهم واستئصالهم فاستأنى بهم وسأل لهم التأخير لعل الله أن يخرج من أصلابهم من لا يشرك به شيئا .

ومن حياة الرسول صلى الله علية وسلم يتجلى فيه عظمة الايثار والتضحية من اجل سعادة الاخرين ومدى قدسية هذه الصفة الكريمة وكم يحبها الله ورسوله ﷺ.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: أن رجلاً أتى الي النبي ﷺ فبعث إلى نسائه فقلن ما معنا إلا الماء أي انه قد اتى ضيفا الى النبي ﷺ واراد النبي الكريم ان يضيفه فبعث الى نسائه حتى يحضرن له ما تيسر من المأكل والمشرب فقال ﷺ من يضم أو يضيف هذا، فقال رجل من الأنصار أنا، فانطلق به إلى امرأته أي عرض النبي ﷺ على اصحابه ان يضيفوا هذا الرجل وبالفعل قد اختار احد من الانصار ان يقوم بتلك المهمة فقال، أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، فقالت ما عندنا إلا قوت صبياني فقال، هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها وأصبحت سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضحك الله الليلة وعجب من فعالكما، فأنزل الله: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.. [الحشر: ٩]. رواه البخاري

كان النبي ﷺ يداعب أصحابه ويقابلهم بالابتسامة وكان لايقول إلا حقاً وإن كان مازحاً. وفي يوم من الأيام جاءت امرأة عجوز من الصحابيات إلى رسول الله ﷺ وقالت له: يارسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة، فداعبها ﷺ قائلاً: إن الجنة لاتدخلها عجوز...

للحاضرين: أخبروها أنها لاتدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول {إنَّا أنشأناهن إنشاءً فجعلناهن أبكاراً} أي أنها حين تدخل الجنة سيعيد الله إليها شبابها وجمالها..» رواه الترمذي.

كان النبي ﷺ يُظهر محبته ووفاءه ولا يخجل من إظهار مشاعر الحب تجاه زوجاته، بل كان يعلن ذلك كي يُعلم الأزواج كيفية معاملة الزوجة والحث على قول الكلمة الطيبة.وكان محبا عطوفا ببناته

لما لها من تأثير بالغ في نفسية المرأة، فيقول عن السيدة خديجة: "إنى رزقت حُبها". وكان يفرح لفرحهن، ويتحمل من أجل سعادتهن، ويساعدهن في الأمور المنزلية، ولم تمنعه كثرة مشاغله ودعوته إلى الله من القيام بشئون المنزل، فكان يخيط نعله وثيابه إلى غير ذلك مما يحتاج إليه كيلا يشق على زوجاته، سُئلت السيدة عَائِشَةَ: مَا كَانَ النبيُّ يَصْنَعُ فِي البَيْتِ؟ قَالَتْ: "كَانَ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا سَمِعَ الأَذَانَ خَرَجَ".

وضرب لنا رسول الله أروع مثال في تطبيق السلوك الإسلامي الحكيم، عندما تكلم الناس في عرض السيدة عائشة، فلم يطلقها وكان يستطيع فعل ذلك، ولكنه لم يلجأ إلى هذا الفعل؛ لأنه يعلم أن الزواج ميثاق غليظ يجب المحافظة عليه. ومن حسن أخلاق النبي وصبره وحكمته أنه بعدما سمع ما قيل عن السيدة عائشة في حادثة الإفك لم يتسرع بالحكم عليها، بل ذهب لينصحها ويذكّرها بالله، فقال لها: "يَا عَائِشَةُ، إِنِّي بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ الله، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي الله وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ ثُمَّ تَابَ تَابَ الله عَلَيْهِ".

لو اقتدينا بهدي النبي وسرنا على سنته في معاملته لزوجاته لوصلنا إلى درجة عالية من الرقي والاحترام في الأسرة المسلمة، فقد كان رسول الله يمزح معهن ويداعبهن ويتنزَّل لهن، لأنه يعلم أن هذا مما تطيب قلوب النساء به، وعلى الرجال والنساء أن يتخلقوا بأخلاق النبي في حياتهم الأسرية؛ استجابة لقوله تعالى: "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا(٢١)" الأحزاب

ما رواه البخاري ومسلم عن علي -ﷺ- أنَّ فاطمة ﷺ شكت ما تلقى في يدها من الرحى، فأتت النبي -ﷺ- تسأله خادمًا، فلم تجده، فذكرت ذلك لعائشة، فلما جاء؛ أخبرته، قال: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبت أقوم، فقال: (مكانك)، فجلس بيننا حتى وجدتُ برد قدميه على صدري، فقال: (ألا أدلُّكما على ما هو خير لكما من خادم؟ إذا أويتما فراشكما، أو أخذتما مضاجعكما، فكبّرا أربعًا وثلاثين، وسبّحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، فهذا خير لكما من خادم).

هكذا كان رسولنا الكريم مع بناته الطاهرات فما أعظمه*

٣-كان من عظيم صفاته صل الله عليه وسلم التعاون مع الصديق:

قال رسول الله صلى الله علية وسلم: (لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه صدق رسول الله صلى الله علية وسلم).. رواه البخاري ومسلم.

ومن ثم فيجب على كل مسلم يتقى الله ان يتعاون مع اخوته على طاعة الله وتقواه وان يساعدهم ويعينهم على طاعة الله وايضا على حوائج الدنيا وصعابها وان يدعو لهم بظهر الغيب وكلنا نعلم فضل دعاء المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب.

قال رسول الله ﷺ: "دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك مؤكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به، آمين ولك بمثل.

يقول حُذيفة بن اليمان: ذهبت مع رسول الله -ﷺ- إلى بئرٍ وأردنا أن نغتسل، ولكن لم يكن عندنا ساتر، فأخذت له الثوب فسترته حتى اغتسل، وحينما أكمل أخذ لي الثوب فأبيت وقلت: "بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أنت رسول الله". ولكنه أبى إلا أن يفعل، ثم قال -ﷺ-: "ما اصطحب اثنان قط إلا وكان أحبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه".

كان النبي ﷺ يأمر الناس بالخير، وهو أول من يأتيه ، وينهاهم عن الشر وهو أول من يبتعد عنه ، وما أكثر الشواهد التي تتجلى فيها مسارعة النبي ﷺ إلى فعل شيء أمر به أصحابه ، أو مبادرته إلى اجتناب شيء نهى عنه أصحابه . ومن تلك الشواهد :

مشاركة النبي ﷺ في بناء المسجد وأثرها على الصحابة : روى البخاري عن أنس قال : وجعلوا _ أي أصحاب رسول الله ﷺ _ ينقلون الصخر (لبناء المسجد) وهم يرتجزون والنبي ﷺ معهم وهو يقول :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ..... فاغفر للأنصار والمهاجرة

٤–كان صل الله عليه وسلم يتصف بحُسن العهد و الوفاء بالوعد:

رُوي أن عجوزاً دخلت على النبي -ﷺ- فألطفها، فلما خرجت سألته عائشة عنها فقال -ﷺ-: "إنها كانت تأتينا في زمن خديجة، وإن حُسن العهد من الإيمان".

وعن أبي الحمساء قال: "بايعت النبي -ﷺ- قبل أن يُبعث، فواعدنيه مكاناً فنسيته يومي والغد فأتيته اليوم الثالث، فقال -ﷺ-: "يا فتى لقد شققت عليَّ أنا ها هنا منذ ثلاثة أيام".

وعن أبي عبد الله قال: "إن رسول الله -ﷺ- وعد رجلاً إلى صخرة، فقال: "أنا لك ها هنا حتى تأتي". فاشتدت الشمس عليه، فقال له أصحابه: "يا رسول الله لو أنك تحوّلت إلى الظل!؟" فقال -ﷺ-: "وعدته إلى ها هنا، وإن لم يجئ كان منه المحشر".

٥-كان مثالا للاحترام المتبادل و التواضع

دخل رجل المسجد والنبي -ﷺ- جالس وحده فتزحزح له، فقال الرجل: في المكان سعة يا رسول الله! فقال رسول الله -ﷺ-: "إن حق المسلم على المسلم إذا رآه يريد الجلوس إليه أن يتزحزح له".

ورُوي عن أبي عبد الله -ﷺ- قال: "كان رسول الله -ﷺ- إذا دخل منزلاً قعد في أدنى المجلس حين يدخل".

وكان رسول الله -صلى الله وسلم- يتواضع مع الجميع ويقول: "إن الله تعالى أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد".

ولقد أتاه جبرائيل -ﷺ- بمفاتيح خزائن الأرض ثلاث مرات، يُخيره من غير أن ينقصه الله تبارك وتعالى مما أُعد له يوم القيامة شيئاً فيختار التواضع لربه جل وعز.

وعن يحيى بن كثير أن رسول الله -صلى الله وسلم- : "آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد فإنما أنا عبد".

٦-كان شديد الغضب لله تعالى:

روي أن النبي ﷺ كان يغضب لربه ولا يغضب لنفسه، وجاء في وصفه "ما انتصر نفسه من مظلمة حتى ينتهك محارم الله فيكون حينئذٍ غضبه لله تبارك وتعالى".

٧-كان من اعظم صفاته الصبر وتحمل الأذى:

من أشد ما صنع به المشركون ما رواه البخاري في صحيحه عن عروة بن الزبير، قال: قلت لعبد اللَّه بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول اللَّه ؟ قال: بينما رسول اللَّه يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول اللَّه ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر، فأخذ بمنكبه، ودفعه عن رسول اللَّه وقال: (أَتَقْتُلُونَ رَجُلا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ)(سورة غافر، الآية: ٢٨)

وقد اشتد أذى المشركين لرسول اللَّه ولأصحابه، حتى جاء بعض الصحابة إلى رسول اللَّه يستنصره، ويسأل منه الدعاء والعون، ولكن النبي الحكيم واثق بنصر اللَّه وتأييده، فإن العاقبة للمتقين.

ويقول رسول الله -ﷺ-: "ما أوذي أحد مثل ما أوذيت في الله".

وعن إسماعيل بن عياش قال: "كان رسول الله -ﷺ- أصبر الناس على أوزار الناس".

٨-كان عادلا حريص الانتصار للمستضعفين

كان رسول الله -ﷺ- يحب المستضعفين ويدعو لهم ويجلس معهم ويُساوي بينهم وغيرهم... وقد روي أنه لما قسَّم -ﷺ- غنائم بدر، قال سعد بن أبي وقاص: "يا رسول الله، أتُعطي فارس القوم الذي يحميهم مثل ما تُعطي الضعيف؟ فقال النبي -ﷺ-: "ثكلتك أمك، وهل تُنصرون إلا بضعفائكم؟"

٩-كان ودودا محبا لاصحابه واصفا الجنة لهم

صلى رسول الله – ﷺ – العصر بأصحابه ، ثم سبّحوا ، وحمدوا الله تعالى ، وكبّروا ، ثم سألوا الله تعالى العافية في الدنيا ، وسألوه الجنة في الآخرة ، ولم يقم أحد منهم ، فقد رأوا في وجه رسول الله ﷺ ابتسامة تُشيع في نفوسهم الاطمئنان ، وكأنه سمع منهم دعاءً سره ، فأراد أن يحدثهم ليسرّهم كذلك ، فابتسموا له ﷺ ، ورنت إليه عيونهم وقلوبهم ينتظرون ما يقول .

قال : أراكم تسألون الله تعالى الجنة ، أفتعلمون ما فيها ؟

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : قال الله تعالى : أعددت لعبادي ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر. اقرؤوا إن شئتم " فلا تعلم نفس ما أُخفيَ لهم من قرّة أعين جزاء بما كانوا يعملون " .

قالوا : فمن أول الداخلين إليها ؟.

قال : أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر.

قالوا : ثمّ مَنْ ؛ يا رسول الله ؟ .

قال : والذين على إثرهم كأشد كوكبٍ إضاءةً .

قالوا : فما صفات هؤلاء وهؤلاء ؟.

قال : قلوبهم تملؤها المحبة ، وكأنهم على قلب رجل واحد ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، لا يبصقون فيه ، ولا يتمخّطون ، ولا يتغوّطون ، آنيتُهم فيها الذهب ، أمشاطُهم من الذهب والفضّة ، يتبخرون بعود الصندل ، وعرَقُهم المسك الزكيّ الرائحة ، ولكل منهم زوجتان يُرى مُخّ سوقهما من وراء اللحم من الحُسن ، يسبحون الله بُكرة وعشيّاً .

قالوا : أهم كُثُرٌ؛ يا رسول الله ؟.

قال : سبع مئة ألف . لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم. فأبواب الجنة عريضة تضمّهم جميعاً ،يدخلون بغير حساب .

قال عُكّاشة بن مِحصن : ادع اللهَ ؛ يا رسول الله أن أكون منهم .

قال : أنت منهم . ... فانتعشت أوصال عُكّاشة ، وحمد الله وكبّر ، فليس من بشرى أفضل من هذه البشرى .

قالوا : فزدنا توضيحاً يا رسول الله .

قال : إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلالها مئة عام لا يقطعها ! ، واقرأوا إن شئتم " وظلٍّ ممدود " ولَقابُ قوسِ أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو غربتْ ، وإن موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها . قالوا : أمنازل المؤمنين فيها متساوية ؟.

قال : لا ، إن أهل الجنة ينظرون إلى أهل الغرف من فوقهم كما ينظر أحدكم إلى الكوكب الدريّ العالي في كبد السماء شرقاً وغرباً ، إن مقام أهل الفردوس الأعلى عظيم عظيم .

قالوا : لعل تلك المنازل تخص الأنبياء فقط ؟.

قال : لا ، والذي نفسي بيده ! إنها منازل رجال آمنوا بالله ، وصدّقوا المرسلين . رفع المسلمون أيديَهم إلى السماء ، وقالت قلوبهم قبل ألسنتهم :

اللهم ؛ يا ربنا : أمنا بك إيماناً يزداد بك يقيناً ، وصدّقنا رسولك الكريم فاكتبنا في أهل الفردوس الأعلى ، وارزقنا الغُرف في علّيّين . آمين ، يا رب العالمين .

صحيح البخاري المجلد الرابع كتاب بدء الخلق

باب ما جاء في صفة الجنة

الفصل السابع عشر
حجة الوادع
ورسول الله صلى الله عليه وسلم الرحيم الرؤوف

قبل وفاة الرسول ﷺ كانت حجة الوداع، وبعدها نزل قول الله عزوجل (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)

فبكي أبو بكر الصديق عند سماعه هذه الآية..

فقالوا له: ما يبكيك يا أبو بكر أنها آية مثل كل آية نزلت علي الرسول ..

فقال : هذا نعي رسول الله .

وعاد الرسول.. وقبل الوفاة بتسعة أيام نزلت آخر آية من القرآن (واتقوا يوما ترجعون فيه إلي الله ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون..) وبدأ الوجع يظهر علي الرسول ﷺ

فقال : أريد أن أزور شهداء أحد

فذهب إلي شهداء أحد ووقف علي قبور الشهداء

وقال : السلام عليكم يا شهداء أحد، أنتم السابقون وإنا إنشاء الله بكم لاحقون، وإني إنشاء الله بكم لاحق ، وأثناء رجوعه من الزيارة بكي رسول الله ﷺ قالوا: ما يبكيك يا رسول الله ؟

قال: (اشتقت إلي إخواني)

قالوا : أولسنا إخوانك يا رسول الله ؟

قال : لا أنتم أصحابي، أما إخواني فقوم يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني اللهم أنا نسألك أن نكون منهم

وعاد الرسول ﷺ وقبل الوفاة بثلاثة أيام بدأ الوجع يشتد عليه وكان في بيت السيدة ميمونة فقال: (اجمعوا زوجاتي) فجمعت الزوجات ،

فقال النبي ﷺ: (أتأذنون لي أن أمرض في بيت عائشة ؟)

فقلن: نأذن لك يا رسول الله

فأراد أن يقوم فما استطاع فجاء علي بن أبي طالب والفضل بن العباس فحملا النبي ﷺ وخرجوا به من حجرة السيدة ميمونة إلى حجرة السيدة عائشة فرآه الصحابة علي هذا الحال لأول مره ..

فيبدأ الصحابة في السؤال بهلع :ماذا أحل برسول الله.. ماذا أحل برسول الله.

فتجمع الناس في المسجد وامتلأ وتزاحم الناس عليه.

فبدأ العرق يتصبب من النبي بغزارة

فقالت السيدة عائشة : لم أرفي حياتي أحد يتصبب عرقا بهذا الشكل .

فتقول: كنت آخذ بيد النبي وأمسح بها وجهه، لأن يد النبي أكرم وأطيب من يدي، وتقول : فأسمعه يقول : (لا اله إلا الله ، إن للموت لسكرات). فتقول السيدة عائشة : فكثر اللغط (أي الحديث) في المسجد إشفاقا علي الرسول

فقال النبي : (ما هذا ؟) ..

فقالوا : يا رسول الله ، يخافون عليك .

فقال : (احملوني إليهم) ..

فأراد أن يقوم فما استطاع، فصبوا عليه سبع قرب من الماء حتى يفيق .

فحمل النبي ﷺ وصعد إلي المنبر.. آخر خطبه لرسول الله ﷺ و آخر كلمات له:

فقال النبي: ﷺ (أيها الناس، كأنكم تخافون علي)

فقالوا : نعم يا رسول الله .

فقال : (أيها الناس، موعدكم معي ليس الدنيا، موعدكم معي عند الحوض.. والله لكأني أنظر إليه من مقامي هذا. أيها الناس، والله ما الفقر أخشي عليكم، ولكني أخشي عليكم الدنيا أن تنافسوها كما تنافسها الذين من قبلكم، فتهلككم كما أهلكتهم) .

ثم قال : (أيها الناس ، الله الله في الصلاة ، الله الله في الصلاة، بمعني أستحلفكم بالله العظيم أن تحافظوا علي الصلاة ، وظل يرددها)

ثم قال : (أيها الناس، اتقوا الله في النساء، اتقوا الله في النساء، أوصيكم بالنساء خيرا)

ثم قال : (أيها الناس إن عبدا خيره الله بين الدنيا وبين ما عند الله ، فاختار ما عند الله)

فلم يفهم أحد قصده من هذه الجملة ، وكان يقصد نفسه

سيدنا أبو بكر هو الوحيد الذي فهم هذه الجملة ، فانفجر بالبكاء وعلي نحيبه ، ووقف وقاطع النبي وقال : فديناك بآبائنا ، فديناك بأمهاتنا ، فديناك بأولادنا ، فديناك بأزواجنا ، فديناك بأموالنا وظل يرددها ...

فنظر الناس إلي أبو بكر، كيف يقاطع النبي.. فأخذ النبي يدافع عن أبو بكر قائلا : (أيها الناس ، دعوا أبو بكر ، فما منكم من أحد كان له عندنا من فضل إلا كافأناه به ، إلا أبو بكر لم أستطع مكافأته ، فتركت مكافأته إلي الله عزوجل ، كل الأبواب إلي المسجد تسد إلا باب أبو بكر لا يسد أبدا)

وأخيرا قبل نزوله من المنبر.. بدأ الرسول بالدعاء للمسلمين قبل الوفاة كآخر دعوات لهم، فقال : (آواكم الله ، حفظكم الله ، نصركم الله ، ثبتكم الله ، أيدكم الله) ...

وآخر كلمه قالها ، آخر كلمه موجهه للأمة من علي منبره قبل نزوله قال صلى الله عليه وسلم : (أيها الناس ، أقرءوا مني السلام كل من تبعني من أمتي إلي يوم القيام) .

وحمل مرة أخري إلي بيته. وهو هناك دخل عليه عبد الرحمن بن أبي بكر وفي يده سواك، فظل النبي ﷺ ينظر إلى السواك ولكنه لم يستطيع أن يطلبه من شدة مرضه. ففهمت السيدة عائشة من نظرة النبي ﷺ، فأخذت السواك من عبد الرحمن ووضعته في فم النبي، فلم يستطع أن يستاك به، فأخذته من النبي ﷺ وجعلت تلينه بفمها وردته للنبي مره أخري حتى يكون طريا عليه.

فقالت : كان آخر شيء دخل جوف النبي هو ريقي ، فكان من فضل الله علي أن جمع بين ريقي وريق النبي قبل أن يموت .

تقول السيدة عائشة : ثم دخلت فاطمة بنت النبي ، فلما دخلت بكت ، لأن النبي لم يستطع القيام ، لأنه كان يقبلها بين عينيها كلما جاءت إليه ..

فقال النبي ﷺ: (أدنو مني يا فاطمة)

فحدثها النبي صلى اله عليه وسلم في أذنها ، فبكت أكثر. فلما بكت

قال لها النبي ﷺ: (أدنو مني يا فاطمة)

فحدثها مره أخري في أذنها ، فضحكت .....

بعد وفاته سئلت ماذا قال لك النبي

فقالت : قال لي في المرة الأولي : (يا فاطمة ، إني ميت الليلة) فبكيت ، فلما وجدني أبكي قال : (يا فاطمة ، أنتي أول أهلي لحاقا بي) فضحكت .

تقول السيدة عائشة : ثم قال النبي ﷺ : (أخرجوا من عندي في البيت) وقال : (أدنو مني يا عائشة)

فنام النبي ﷺ علي صدرزوجته ، ويرفع يده للسماء

ويقول : (بل الرفيق الأعلى، بل الرفيق الأعلى) ....

تقول السيدة عائشة: فعرفت أنه يخير.

دخل سيدنا جبريل علي النبي

وقال : يا رسول الله ، ملك الموت بالباب ، يستأذن أن يدخل عليك ، وما استأذن علي أحد من قبلك ..

فقال النبي ﷺ: (ائذن له يا جبريل)

فدخل ملك الموت علي النبي ﷺ

وقال : السلام عليك يا رسول الله ، أرسلني الله أخيرك ، بين البقاء في الدنيا وبين أن تلحق بالله .

فقال النبي ﷺ : (بل الرفيق الأعلى ، بل الرفيق الأعلى)

ووقف ملك الموت عند رأس النبي صلى الله علي وسلم

وقال : أيتها الروح الطيبة ، روح محمد بن عبد الله ، أخرجي إلي رضا من الله ورضوان ورب راض غيرغضبان ...

تقول السيدة عائشة: فسقطت يد النبي وثقلت رأسه في صدري ، فعرفت أنه قد مات ... فلم أدري ما أفعل ، فما كان مني غير أن خرجت من حجرتي وفتحت بابي الذي يطل علي الرجال في المسجد وأقول مات رسول الله، مات رسول الله .

تقول: فانفجر المسجد بالبكاء. فهذا علي بن أبي طالب أقعد، وهذا عثمان بن عفان كالصبي يؤخذ بيده يمني ويسري وهذا عمر بن الخطاب يرفع سيفه ويقول من قال أنه قد مات قطعت رأسه، إنه ذهب للقاء ربه كما ذهب موسي للقاء ربه وسيعود ويقتل من قال أنه قد مات..

كان محمد الحبيب الوفي المعين الرفيق كان نبراسا لأصحابه وضيئا منيرا اللهم صل وسلم عليه تسليما كثيرا

الخاتمة

ومن بعد هذا العرض الذي وفقنا الله تعالى فى سرده مشهود بقول الحق الله تعالى ، ومدعوم بأقوال من سنة رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام نعلم علم اليقين أن أطمئنان القلوب هو رزق عظيم من الله تعالى رزق به عباده المؤمنين وحثنا الله تعال فى كتابه انه المنهاج الذى اولى بالاتباع ؛ حيث جعل فيه الشفاء والرحمة ومعرفة الطريق القويم وقال تعالى

"لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤)الحشر

حيث يقول الله تعالى :معظما لأمر القرآن ، ومبينا علو قدره ، وأنه ينبغي أن تخشع له القلوب ، وتتصدع عند سماعه لما فيه من الوعد والوعيد الأكيد : (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) أي : فإن كان الجبل في غلظته وقساوته ، لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه ، لخشع وتصدع من خوف الله ، عزوجل ، فكيف يليق بكم أيها البشر ألا تلين قلوبكم وتخشع ، وتتصدع من خشية الله ،

وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه ؟ ولهذا قال تعالى : (وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) أي ذكر الله تلك الامثال للتدبر والفهم والعمل بما أمر الله

وقد ثبت في الحديث المتواتر: أن رسول الله - ﷺ - لما عمل له المنبر، وقد كان يوم الخطبة يقف إلى جانب جذع من جذوع المسجد ، فلما وضع المنبر أول ما وضع ، وجاء النبي - ﷺ - ليخطب فجاوز الجذع إلى نحو المنبر، فعند ذلك حن الجذع وجعل يئن كما يئن الصبي الذي يسكن ، لما كان يسمع من الذكر والوحي عنده . ففي بعض روايات هذا الحديث قال الحسن البصري بعد إيراده : " فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الجذع " . وهكذا هذه الآية الكريمة ، إذا كانت الجبال الصم لو سمعت كلام الله وفهمته ، لخشعت وتصدعت من خشيته فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم ؟ وقد قال تعالى

"وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٣١) الرعد وقد تقدم أن معنى ذلك : أي لكان هذا القرآن . وقال تعالى : "ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤)البقرة

فالقرآن : هو كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمد ﷺ المتعبد بتلاوته ،وهو نور ويقين ، وهو الحبل المتين ، وهو منهج الصالحين ، فيه أخبار الأولين من الأنبياء والصالحين، وجزاء الظالمين ، وفيه آيات تحكي معجزات الله وقدرته في هذا الكون المتين ، وفيه بيان لأصل هذا الإنسان ،الذي كان من ماء مهين ، وفيه أحكام العقيدة التي يجب أن ينطوي عليها كل قلب مستكين ، وفيه أحكام الشريعة التي تبين المباح من الحرام وتبين الباطل من الحق المبين ، وفيه بيان المعاد ومصير الإنسان إما إلى نار يخزى فيها فيكون من الصاغرين ، وإما إلى جنة ذات جنات وعيون وزروع ومقام أمين .

وفيه شفاء للصدور ، وفيه للأعمى تبصرة ونور ، قال الله تعالى " وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٢) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا (٨٣) قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا (٨٤) الإسراء

ويقول تعالى مخبرا عن كتابه الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ - وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد - إنه : (شفاء ورحمة للمؤمنين) أي : يذهب ما في القلوب من أمراض ، من شك ونفاق ، وشرك وزيغ وميل ، فالقرآن يشفي من ذلك كله . وهو أيضا رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه ، وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقه واتبعه ، فإنه يكون شفاء في حقه ورحمة

. وأما الكافر الظالم نفسه بذلك ، فلا يزيده سماعه القرآن إلا بعدا وتكذيبا وكفرا . والآفة من الكافر لا من القرآن و يقول تبارك وتعالى: وإذا أنعمنا على الإنسان، فنجَّيناه من كرب ما هو فيه في البحر، وهو ما قد أشرف فيه عليه من الهلاك بعصوف الريح عليه إلى البرّ، وغير ذلك من نعمنا، أعرض عن ذكرنا، وقد كان بنا مستغيثا دون كلّ أحد سوانا في حال الشدّة التي كان فيها(وَنَأَى بِجَانِبِهِ) يقول: وبعد منا بجانبه، يعني بنفسه، كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ قبل ذلك.

ويقول عزّ وجلّ لنبيّه محمد ﷺ: قل يا محمد للناس: كلكم يعمل على شاكلته: على ناحيته وطريقته (فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ) هو منكم (أَهْدَى سَبِيلا) يقول: ربكم أعلم بمن هو منكم أهدى طريقا إلى الحقّ من غيره.

" تفسير ابن كثير"

وقال الله تعالى : (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين(٥٧) يونس

قال الله تعالى :" ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) البقرة

الفهرس

تمهيد:- ٥

الفصل الأول :- نبي الله نوح عليه السلام ٩

الفصل الثاني :- إبراهيم يبحث عن ربه ١٤

الفصل الثالث :-إبراهيم وأربعة من الطير ١٦

الفصل الرابع: هاجروإسماعيل في وادٍ غيرذي زرعٍ ١٩

الفصل الخامس :- هاجروإسماعيل وأربعة من الطير ٢٢

الفصل السادس:- شعيب نبي الله وقومه ٢٥

الفصل السابع :- يوسف وغياهب الجب وظلمات السجن ٣٠

الفصل الثامن:- أيوب ينادي ربه أني مسني الضر ٣٧

الفصل التاسع :- ذو النون في الظلمات ٤١

الفصل العاشر:- أم موسى وأمر الله ٤٥

الفصل الحادي عشر:- موسى وفرعون ويوم الزينة ٤٨

الفصل الثاني عشر:- آسيا امرأة فرعون وبيت لها بالجنة ٥٢

الفصل الثالث عشر:- السيدة مريم تحت جزع النخلة ٥٤

الفصل الرابع عشر:-السيدة عائشة ﵂ وحادثة الأفك ٥٩

الفصل الخامس عشر:- أنت وقلبك ٦٦

الفصل السادس عشر:- نسائم عطرة من حياة الرسول ﷺ ٧٠

الفصل السابع عشر:-حجة الوادع ورسول الله ﷺ الرحيم الرؤوف ٨٥

الخاتمة..... ٩١

سيرة ذاتية

الاسم: جيهان محمد عجلان

العنوان : محافظة القليوبية - أبوزعبل

المؤهل : ليسانس حقوق – تمهيدي ماجستيرشريعة جامعة القاهرة

دبلوم دراسات عربية وإسلامية كلية دارعلوم جامعة القاهرة

أكونت الفيس :

https://www.facebook.com/alnagm.althaar.7